الحشراتُ في القرآن والإعجاز العلمي

الدكتور/ ثروت مهران

البريد الألكتروني: Mahrantharwat@gmail.com

النحل

النمل

العنكبوت

دابة الأرض

الجراد

الفراش

القمل

البعوضة

الذباب

المَنّ

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

and say: "My Lord! Increase me in **knowledge**."

عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم قال : إذا مات الإنسانُ انقطع عملُه إلا مِنْ ثلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ ، أو **علمٍ يُنتفَعُ به** ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له . (رواه مسلم)

The Prophet Muhammad (Peace and blessing be upon him) said: "After the death of a person his actions stop, save three things that he leaves behind: First, continuous charity, second the **knowledge from which benefit may be obtained**, and then a virtuous son who makes Dua' for him". [Reported by Imam Muslim]

الحشراتُ في القرآن

القرآنُ ذَكَرَ عشرةَ حشرات :

بالرغم مِنْ حجمِ الحشرات متناهي الصغر إلا أنّ القرآنَ الكريم ذَكَرَ عشرةً منها ، بل وضُرِبَ بها المثل للكفار في الاستدلال على عظمة الخالق في بعض الآيات (**البعوضة** و**الذباب** و**دَآبَّةُ الأرْضِ** [الأرَضَة]) وفي آياتٍ أخرى ذُكِرَتْ لتكون عظةً وعبرةً لبعض الأقوام (**المَنّ**) وكنوعٍ مِن العذابِ والرجزِ الذي أرسله الله تعالى لمَنْ يعصي رسلَه ولا يتبع أوامرَهم التي هي أوامره تعالى واستعملت كحربٍ شُنَّتْ على الكفار (**الجراد** و**القمل**)، كما استعملت بعض الحشرات للدلالة على حالة الناسِ في يوم القيامة وما سوف يلاقونه مِنْ أهوال (**الفراش**)، وتلك صور حسية يتخيلها البشرُ بسهولة لأنهم يرونها في كل ساعة مِنْ حياتهم في محيطهم. عالم الحشرات مذهل في كل شيءٍ ، فهي مخلوقات غير عادية ولهذا استحقت أنْ يذكرها اللهُ في كتابه ، حتى إنّ بعضًا مِنْ سُوَر القرآن الكريم سُمِّيَتْ بأسماءِ بعض الحشرات (**النحل** و**النمل** و**العنكبوت**)، هذا بالإضافة إلى ثلاث سُوَرٍ أخرى سُمِّيَتْ بأسماءِ بعض الحيوانات (**البقرة** و**الأنعام** و**الفيل**).

قوة الحشرات :

وعلى الرغم مِنْ نجاحِ الإنسان الباهر في ترويض الوحوش الكاسرة والقضاءِ على الكثير مِن الأمراض الفتاكة ، وَقَفَ هذا الإنسانُ بلا حولٍ ولا قوةٍ أمام الحشرات ، كائنات صغيرة الحجم ، لا تعرف الكسلَ ولا يصيبها الملُ أو الوهنُ ، تجوبُ العالم، شرقًا وغربًا ، شمالًا وجنوبًا ، دون أنْ تعترفَ بحدودٍ إقليميةٍ ولا تعبأُ بموانع أو سدودٍ أو جنسياتٍ.

لقد استوحى الإنسانُ معظمَ اختراعاته مِنْ عالم الحيوان ، والحقيقة اختراع الطائرة لم يكن سوى محاكاة للطيور، واختراع الطائرات الحربية لم يكن سوى محاكاة للحشرات. وبعض الحشرات تعمل بكفاءةٍ أعلى بكثيرٍ مِنْ أحدثِ طائرةٍ تمّ اختراعها حتى الآن ، ولا عجب في ذلك فهذه الاختراعات لا يمكنها أنْ تُطوِّرَ أجهزتها للتأقلم مع البيئة ، بل هناك برنامج دقيق في داخلها يتحكم بكلِّ حركةٍ مِنْ حركاتها ، وهذا لا يفهمه ولا يعقله الملحدون والكفار مِنْ قوله تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه ٥٠). فتبارك اللهُ خالقُ كل شيءٍ، ونرجو مِن اللهِ تعالى أنْ يهدينا ويجعل لنا نورًا نمشي به في ظلمات هذا الزمن.

لقد فاقت الحشراتُ جميع المخلوقات في عددِ أنواعها ، إذ فاقت أنواعها المليون ، وهي تمثل ٧٦% مِن المجموع الكلّي للمملكة الحيوانية و٥١% مِنْ جميع أنواع الكائنات الحية. توشك أنْ تنظر إلى السماءِ وتخاطب الماءَ الذي في السحاب قائلة له: شرِّق أو غرِّب فإنّ لي مِن الخير الذي تفيض به نصيبٌ. ولاشكّ أنّ هذا النجاحَ الساحقَ لهذه الحشرات وانتشارها الكبير له أسبابٌ عديدةٌ ، فهي صغيرةُ الحجم ، قليلٌ مِن الغذاء يكفيها وشقٌّ صغيرٌ في الأرضِ يأويها ، لها هيكلٌ أقوى مِن العظام وعضلاتٌ مفتولةٌ تستطيعُ بها أنْ تحملَ أو تجرَّ عشراتِ أضعافِ وزنها ، فهى بلا جدالٍ بطلة العالم في حمل الأثقال وجرِّ الأحمال ، وتقفزُ للأعلى والأمام عشرات بل مئات أضعاف طولها ، فهي بلا غرو بطلة العالم في الوثب العالي والطويل. فإذا كان بطل العالم في الوثب العالي يقفز لارتفاع لا يتجاوز مثلي طوله ، فإنّ **البرغوثَ** الذي يبلغ طول رجله ١,٣ مم يقفز لارتفاع قد يصل إلى ٢١ سم ولمسافة قد تصل إلى ٣٤ سم ، وإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يجاريَ هذا البرغوث في البطولة فعليه أنْ يقفزَ لارتفاع ١٣٥ مترًا ولمسافة ٢١٠ مترًا ، وأنَّى له أنْ يفعل. وتستطيع **النملة** حمل ثقل يساوي عشرين ضعف وزنها ، فهل يستطيعُ إنسانٌ وزنه ٧٥ كيلوجرام أنْ يحملَ أكثر مِنْ طن ونصف ، وأنَّى له أنْ يفعل. وتستطيع **الخنفساءُ** أنْ تسحبَ ثقلًا يعادل ثقل جسمها ١٢٠ مرة ، ولكي يبلغ إنسانٌ يزن ٧٥ كيلوجرام شأنها فعليه أنْ يسحبَ ثقلًا يبلغ ٩ أطنان ، وأنّى له ذلك.

تستطيع النملة حمل أشياء تزن عشرين ضعفاً وزن جسمها.

لقد وهبَ اللهُ الحشرات قدرةً فائقةً على التكاثر وتحملِ المشاقّ والصعاب ، وللكثير منها القدرة على الطيران الذي يساعدها في البحث عن الغذاء والهرب مِن الأعداءِ ، ويمكنها مِن الوصول إلى الجنس الآخر في الوقت والمكان المناسبين لإتمام التزاوج ، كما يساعدها في إيجاد المكان المناسب لوضع البيض. وتتميز الحشراتُ بعنادٍ شديدٍ يُمَكِّنُها دائمًا مِن الحصولِ على ما تريدُ وقتما تريدُ ، والذبابُ خيرُ مثالٍ على ذلك ، فقد اشتُقَّ اسمُه مِنْ كونِه إذا ذُبَّ عن الشئ آبَ. وللحشراتِ قدرةٌ كبيرةٌ على التخفِّي والمحاكاة ، فبعضها يتلوَّنُ بلونِ البيئة التي يعيش فيها ، فلا يمكن للأعداء تمييزَه عنها ، وبعضها يتلوَّنُ بألوانِ بعض الحشرات السامة ، فيفزعُ منها الأعداءُ ويرهبون جنابَها.

وتمرُّ الحشراتُ خلالَ حياتِها بتغيُّرٍ كبيرٍ في الشكل ، يُسَمَّى التحوُّل ، فمَنْ يُصَدِّقُ أنّ **الفراشات** الرقيقة ذات الألوان البديعة ، التي تكتفي بقليلٍ مِنْ رحيقِ الأزهار كانت يومًا بيوضًا صغيرة لا تكادُ تدركُها العينُ ثم أصبحت ديدان شرهة تجولُ بين أوراق الأشجار فتقضي عليها ، ثم تصبحُ عذارى لا تأكلُ ولا تتحركُ يحسبُها الرائي جمادًا لا حياة فيه وهي تموج أثناء تحوُّلها بتغيُّراتٍ رهيبةٍ فيتحوَّلُ فمُها مِنْ فمٍ قارضٍ إلى خرطومٍ لامتصاص رحيق الأزهار، ويتكون لها أجنحة وأعضاء تناسل ، والعديد مِن التغيرات في الشكل والتركيب ، ومَنْ يُصَدِّقُ أنّ **البعوضَ** الذي يمتصُّ الدماءَ ويطيرُ في الهواء كان يومًا دودةً تسبحُ في الماء ، ومَنْ يُصَدِّقُ أنّ **الذبابَ** الذي لا يتغذي إلا على حلو الشراب ويعشقُ الضوءَ كان يومًا ديدانًا صغيرةً تأكلُ القمامةَ والروثَ ولا تطيقُ أنْ ترى بصيصَ النورِ.

الحشراتُ جندٌ مِنْ أجنادِ اللهِ

لمَ خَلَقَ اللهُ الحشراتِ الضارّةَ ؟ قيلَ ليُذِلّ بها الجبابرة. قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا... وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (الفَتْح ٤ و٧)، {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ} (المُدَّثِّر ٣١).

هذه **البعوضة** ، مخلوقٌ صغيرُ الحجمِ ، عظيمُ القدرِ، بالغُ الضُرِّ على مَنْ سلَّطَها اللهُ عليه مِن العباد ، ورغم صغر حجمها وضآلة شأنها فإنّ الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناحها. إنَّ البعوضَ ليس إلا كتيبة مِن الجنود التي زُوِّدَتْ إناثُها بالأسلحة والمعدات وأجهزة الاستشعار عن بعد ومناظير الرؤية الليلية التي تمكنها مِن الاهتداء لعائلها ومَصِّ دمائه دون خللٍ أو فشلٍ. إنّ أنثى البعوضة وفي الظلام الدامس تهتدي لهدفها بواسطة درجة الحرارة المنبعثة مِنْ بدنه وشمِّ رائحة جسده وأنفاسه المميزة ثم تتخيرُ مكانًا مِن الجلد غنيّ بالأوردة الدموية ، ثم وبخِفَّةٍ ومهارةٍ ودقةٍ بالغةٍ تقومُ بثَقبِ الجلد بواسطة عددٍ مِن الإبر المسننة ، ثم تقوم بإفراز مواد لعابية تحمل إنزيمات تمنع تخثر الدم وتعمل على سيولته وتزيد مِنْ توارده لمكان الثقب ، وهنا تبدأ عملية مَصّ الدماء. ولا تقتصر المشكلةُ على ما يسببه لدغ البعوض مِنْ حكة أو سلب دماء ولكن وأثناء صب اللعاب المانع لتخثر الدم ، تنتقلُ العديدُ مِنْ مسببات الأمراض المهلكة للإنسان مثل الملاريا والفلاريا وحمى الوادي المتصدع وحمى الضنك وحمى غرب النيل والحمى الصفراء. وهناك جيوش أخرى مِنْ مصاصي الدماء مثل **القمل** الذي ينقل مرض التيفوس.

وها هو **الجراد** ، يزحفُ بجيوشِه إلى مَنْ شاءَ اللهُ مِنْ خَلْقِ اللهِ في أسرابٍ وحشودٍ منظمةٍ تثيرُ الرعبَ والفزعَ والذعرَ في قلوبِ المزارعين والمختصين ، إنها تطيرُ في تنظيمٍ عجيبٍ وسربٍ مهيبٍ وتحطّ على كلّ أخضرٍ خصيبٍ فتحيلُه إلى صعيدٍ، إنّ الجرادَ يطيرُ لمسافاتٍ بعيدةٍ ، وبلا توقُّفٍ فها هي أسرابُه تعبرُ البحرَ الأحمرَ بانتظامٍ (حوالي ٣٠٠ كم) وقد تقطع الجرادة الواحدة ٥٠٠ كيلومتر في اليوم الواحد ، دون أنْ تحتاجَ للتوقُّف لملءِ خزانات وقودها ، وذلك بما لديها مِنْ قدرةٍ عضليةٍ تمكنها مِن الرفرفة بالجناحين لمدة تصل إلى ستة عشر ساعة في اليوم ، فمَن الذي أمدها بكلّ هذه الطاقة اللازمة لبذل هذا الجهد بلا توقُّف ، إنّ جيوشَ الجرادِ الجرارة وغير العاقلة تتصرف بطريقة دقيقة في التجمع والتوجيه والحل والترحال ، وغاراته لا يمكن التنبؤ بها قبل بدئها وكيف لا وهي مِنْ جيوش الحق وجنود الملك سبحانه وتعالى يسخرها اللهُ للإغارة على مِنْ يشاءُ مِنْ عباده وقتما يشاء وحيثما يشاء عقابًا العاصين وابتلاءً للصالحين وعبرةً للناجين.

إنّ الجرادةَ الصغيرةَ غير الناضجة تأكلُ قدر وزنها من النباتات الخضراء فإذا كانت هذه الحشرة تزن جرامين ، وإذا كانت جموع الجراد في بعض الأسراب تصل إلى ٨ مليار جرادة وتزن حوالى ١٦٠٠٠ طن ، فإنها تأكل في اليوم الواحد ما يطعم ٢,٤ مليون رجل. وقد يتبادر إلى ذهن البعض أنّ استخدامَ القوة المفرطة مِن الرش بالمبيدات واستخدام الطائرات قادرٌ على صدِّ جيوشِ الجراد الجرارة ، ولكن أنّى لهم ذلك ، والجرادُ دائمًا يختارُ وقتَ ومكانَ المعركة ودون سابقِ إنذار، ثم إنّ ما يسلّطُه الإنسانُ على الجراد مِنْ مبيداتٍ يرتدُّ إليه في صورة ملوثاتٍ تهلكُه وتفسدُ زرعَه وضرعَه. وإذا أردْتَ أنْ تعرفَ الأثرَ المدمِّرَ لبعض تلك الكائنات فانظر إلى حشرات الحبوب المخزونة التي تأكل ما يقرب مِنْ ثلث إنتاج العالم مِن الحبوب في الوقت الذي لا يجد فيه الملايين مِن البشر، وفى عصر التصحر والجفاف ما يسد رمقهم. وانظر إلى **دابة الأرضِ** (الأرضة)، أو ما يطلق عليه البعضُ النمل الأبيض ، التي تحيلُ البيوتَ العامرة إلى أطلالٍ خَرِبَةٍ.

وكما أنّ هناك حشرات ضارة للإنسان والبيئة تفتكُ بمَنْ شاءَ اللهُ مِن العباد، هناك **حشرات نافعة** تحمل الخير، كلّ الخير لبني الإنسان. خيرُ طعامِ بن آدم مِنْ رحيعِ **نحلةٍ** (العسل) وخير لباسه مِنْ لعاب دودة (الحرير الذي تصنعه دودة القز)، وقد ظن البعض أنّ خيرَ النحل مقصور على ما يصنعه مِن العسل وأغفلوا الفوائد الجمة لما ينتجه النحل مِنْ غذاءٍ ملكي، وسُمّ، وعِكْبِر "صمغ النحل" (propolis) وما يجمعه من حبوب اللقاح. والعجيب أنّ كل هذا الخير لا يقارَن بالمكاسب الضخمة التي يجنيها المزارعون مِنْ تلقيح النحل لزروعهم ورفع انتاجها مِن الثمار أَضعاف المرات. كما أنّ بعض الحشرات تعد مصدرًا غذائيًّا لغيرها من الكائنات الحية، وتقوم الحشرات بالتخلص من الحشرات الضارة، وتعمل أيضا على تهيئة التربة وزيادة خصوبتها.

ومنذ قديم الأزل وَعَى الإنسانُ أخطارَ هذه الحشرات ومضارها، فلم يهادنها، بل حاربها بكل ما تفتق عنه الذهن مِنْ وسائل وأنشأ مِنْ أجل ذلك المعاهدَ العلمية ومراكزَ الأبحاث، علّه يفلحُ في القضاء عليها أو الحدّ مِنْ أخطارها، ولكنه ويالللحسرة لم يفرِّق في حربه لها بين العدو منها والصديق، بين مَنْ يقدمُ له الغذاء ومَنْ يدمِّرُ له الغذاء، بين مَنْ يلقِّحُ له النبات ومَنْ يدمِّرُ له النبات، بين مَنْ يقدمُ له الشفاءَ والدواءَ ومَنْ يصيبُه بالداء، مَنْ يقدِّمُ له الحرير وهو أجمل وأنعم أنواع الكساء ومَنْ يدمِّرُ له الرياشَ والكساءَ. فكان أن ارتدت أسلحةُ الإنسان إلى نحرِه وأصبح تدبيرُه تدميرَه فوقفَ حائرًا مقهورًا، فبعدَ أنْ أنفقَ المليارات مِن الدولارات وأفنَى الوقتَ والجهدَ والعتادَ في الحرب مع الحشرات بعد أنْ صَوَّرَ له خيالُه المريضُ ونهمُه الجشِعُ أنه سينعمُ بالسعادة والرفاهية إنْ هو أفناها، فأسرفَ في استخدام المبيدات ثمّ أفاقَ ولكن متى أفاق؟ لقد أفاق بعد أنْ غَزَتْ سمومُ المبيدات كبدَه وكليتَيْه وقلبَه وسائرَ بدنِه وأفسَدَتْ زرعَه وأهْلَكَتْ ضرعَه، وزادَ مِنْ حسرته أنّ الحشرات خَرَجَتْ مِنْ هذه المعركة ظافرة، وفى كل مرة بعدما ينقشعُ غبارُ مبيداته، تلملمُ شتاتها وتنظمُ صفوفَها ثم تهزُّ قرونَ استشعارها وتمضى في سبيلها تنتظرُ ما يفعلُ اللهُ بها، أليست خَلْقًا مِنْ مخلوقاته وجُنْدًا مِنْ أجناده.

فالمؤمن يعتقد أنّ كلّ ما جاء في القرآن هو الحق، ولكن العلماني والملحد والكافر يتساءلون عن الحكمة مِنْ ذِكْرِ هذه الحشرات وينكرون ويجحدون بهذا الكتاب العظيم، وهذه عادتهم. ونحن اليوم بعدما اتضحت خطورة أو فائدة هذه الحشرات والمليارات التي تُنفَق على أبحاث الحشرات، ونرى آلافَ العلماءِ يعملون ليلاً نهارًا على اكتشاف أدوية جديدة لمكافحة الأمراض التي تنقلُها الحشرات. كلُّ هذا ألا يدعونا للتفكر في أهمية هذه الحشرات وأنها لم تُذكر عبثاً في كتاب الله تعالى؟ ومِنْ هنا يمكنُ القولَ إنّ كلّ شيءٍ ذُكِرَ في القرآنِ فيه حكمة عظيمة. ولم يذكر اللهُ شيئًا عبثًا في كتابه المجيد، ولا نملكُ إلا أنْ نقولَ كما يقولُ الراسخون في العلم: {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ} (آل عِمران ٧).

الحشراتُ وجميعُ المخلوقاتِ مُسَخَّرَةٌ لخدمةِ الإنسانِ:

١– إنّ الله تعالى لم يخلقْ شيئًا عبثًا، بل كلّ مخلوقٍ له عمل وهو مسخَّرٌ لخدمة الإنسان، فهو القائل عز وجل: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الجاثية ١٣).

٢– إنّ الدراسات التي تؤكد على فائدة الحيوانات والحشرات، تقودنا للاستنتاج بأنّ كلّ مخلوقٍ على وجه الأرض مُسَخَّرٌ لخدمة الإنسان، ولابدّ أنّ نجد فيه منافع فيما لو بحثنا عن ذلك. وهذا يتفق مع قوله تعالى: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} (الرعد ٨ و٩)، فكلّ مخلوقٍ له عملٌ محددٌ يؤديه ولا توجَد فوضى أو عشوائية أو مصادفة كما يدّعِي الملحدون والعلمانيون.

٣– إنّ الله تعالى سَخَّرَ لنا الأرض لنستقر على ظهرها، وخلقَ النبات والحيوانَ والحشراتِ لمصلحتنا، بل سَخَّرَ الشمسَ والقمرَ والكونَ كلّه لخدمتنا، ألا يستحقُّ اللهُ أنْ نشكره ونحمده وأنْ تخشع قلوبنا له؟: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد ١٦).

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

يُقصَد به سبْق القرآن بالإشارة إلى عددٍ من **الحقائق العلمية** التي لم تتمكّن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فَهْم شيءٍ منها إلا بعد قرونٍ عديدة، تزيد على ١٠ قرون في أقل تقديرٍ لها. وهذا تحدٍّ للناسِ كافة مسلمين وغير مسلمين، حيث لا يُمكن لعاقلٍ أن يتصور لهذه الحقائق العلمية مصدرًا غير الله الخالق سبحانه وتعالى، حيث لم يكن ممكنًا لأي من البشر إدراكها في زمن الوحي ولا لقرونٍ عديدةٍ مِنْ بعده. إنّ الدعوة بالإعجاز العلمي لكلٍّ من القران والسنة النبوية هي الوسيلة المناسبة لأهل عصرنا – عصر العلم والتكنولوجيا – الذي فُتِنَ الناس فيه بالعلم ومعطياته، ونبذ أغلبُ أهل الأرض الدينَ وراء

ظهورهم ونسوه وأنكروا الخَلْقَ والخالقَ. وإذا كان الإعجاز اللغوي مُيَسَّرًا للعرب كي يفهموه ، فلابدّ وأنْ يكون في القرآن من الجوانب الأخرى الميسَّرة لغير العرب كي يؤمنوا به ، ولتشهد القرونُ مِنْ بعدهم على أنه وحي مِنْ عند اللهِ.

ولحكمةٍ إلهية بالغة لم يفسرُ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم آياتِ الإعجاز العلمي في القرآن ، إمّا باجتهاد منه ، أو بتوجيهٍ مِن اللهِ جلّتْ حكمته ، لأنه لو فَسَّرَهَا على نحو يناسبُ فَهْمَ مَنْ حوله لأنكر هذا التفسير مَنْ سيأتي بعده ، ولو فَسَّرَهَا تفسيرًا يفهمه مَنْ سيأتي بعده لأغلق بابَ التفسير على مَنْ حوله ، ولذلك تُرِكَتْ هذه الآيات للعصور اللاحقة ، ليكشف التقدمُ العلمي في كلِّ عصرٍ جوانبَ الإعجاز فيها . أضف إلى ذلك أنه لم يكن مِن الحكمة أنْ يحدث الرسولُ صلّى اللهُ عليه وسلّم صحابته عن الإعجاز العلمي ، ولم تكن ثقافتهم تستوعب ذلك بعد ، وكانت المعارف والحقائق العلمية مجهولة للعالم أجمع في ذاك الزمن، ولو حدثهم بذلك لتصادم وعقولهم ، وهو الحريص صلوات اللهِ وسلامه عليه على مخاطبة الناس على قدر عقولهم. لهذا ترك الصحابةَ يفهمون الآيات العلمية الواردة في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي وبالمفهوم العام ، حيث أنّ الأمر لا يعدّ أنْ يكون اجتهادًا في التفسير يمكن تصحيحه فيما بعد ، تاركًا البيان والوضوح العلمي والاكتشافات العلمية لتظهر وجه الإعجاز العلمي للقرآن في الزمن المناسب ، وقد تحقق ذلك بعد مرور ما يزيد على ألف عام ، وصدق اللهُ العظيم حيث قال: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} (سورة ص ٨٨).

وسنجد أنّ النص القرآني استوعب تلك الكشوف العلمية الجديدة حيث جاءت النصوص بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواقفها التي قد تتابع في ظهورها جيلاً بعد جيل ، واتساع مدلول دلائل الإعجاز القرآني البياني. علمًا بأنه لا يمكن أنْ يقع ذلك التغيير في التفسير – إما بالإضافة أو الزيادة وإما بالتعديل أو الحذف – إلا إذا كان هناك خلل في فَهْم النص القرآني أو خلل في قطعية العلم. والمشتغلون بعلوم القرآن يعلمون أنّ تفسيرَ القرآن الكريم هو جهد بشري واجتهاد فكري ، فإذا جاء المتخصصون في العلوم وفهموا آيات القرآن على حقيقتها العلمية وفسروها دون تأويل ووضحوا معانيها بما يتناسب مع ثقافات العصر والانسجام الفكري والتحدي العلمي والقبول العقلي وقناعة الإنسان المعاصر الخاضع لسيطرة العلوم ، فإنّ أي أخطاء في التفسير يجب أنْ ترد إلى المفسرين ، دون أنْ يؤثر هذا على مصداقية القرآن الكريم. ومرحلية التفسير وتبديله أمر وارد مِنْ أعمال البشر، فليس هناك تفسير مستقر يجمع علمه المسلمون في كل العصور إلا إذا كان قد صدر عن رسول اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم وهذا لم يحدث. وبهذا تكون معجزةُ القرآنُ الكريم – بما فيه مِنْ آياتٍ معجزة – مستمرةً إلى يوم القيامة.

إذا كانت آيات الأمر تقتضي الطاعة وآيات النهي تقتضي الترك ، فإنّ آيات الإعجاز العلمي في القرآن تقتضي التفكر، قال تعالى: {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (يُونُس ٢٤)، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الرعد ٣، الروم ٢١، الزُّمَر ٤٢، الجاثية ١٣)، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل ١١ و٦٩)، {وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل ٤٤)، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر ٢١). هذه الآيات تدعو الناسَ إلى إعمالِ العقل والفكر في كلّ شيء كالقوانين الطبيعية التي خلقها اللهُ تعالى لتحكمها وتحكم الحياة عليها ، ومعرفة العلوم المنوطة بذلك ، ولولا ذلك لما نشأت كلُّ هذه العلوم التخصصية الهائلة التي اكتشفها الإنسانُ تباعًا كعلوم الصيدلة والطب والهندسة والزراعة والفنون والطيران ، وعلوم الفلك والرياضيات والفيزياء ، وعلوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد ، كلها وغيرها الكثير مِن العلوم الدقيقة نتيجة إعمال العقل على أدوات التفكر.

وهنا أوجه كلمةً للملحدين والكفار: إعملوا عقولَكم وتخلوا عن الاعتراض والعناد وتخلصوا مِن الحسد والأحقاد ، وسوف تتجلى لكم الحقيقة وتدركون الصواب ، وتناولوا آيات الإعجاز العلمي بتفكيرٍ علمي مجرد ، كما فعل بعض مشاهير العلماء الغربيين غير المسلمين حيث كان الإعجاز العلمي للقرآن سببًا في زيادة يقينهم وأشهروا إسلامهم بعد أنْ أدركوا معجزة القرآن ، وآمنوا بأنه ليس مِنْ صنع البشر، وأنه فوق قدرات البشر، وأنه كلام ربّ البشر.

أمّا لماذا لم يؤمن بقية العلماء ؟ فالأمر أولًا وأخيرًا مَرَدّه إلى توفيق اللهِ ، ولنتذكر قوله سبحانه وتعالى: {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (البقرة ٢١٣، النور ٤٦)، {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (البقرة ٢٧٢)، {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عِمران ٢٥)، {فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (إبراهيم ٤)، {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (النحل ٩٣)، {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (القَصَص ٥٦)، {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (فاطر ٨)، {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (المُدَّثِّر ٣١)، {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (النمل ١٣ و١٤).

لا يمكن النظر إلى الإعجاز العلمي كموضوعٍ مستقل عن موضوعٍ أوسع هو إعجاز القرآن الكريم. إنّ معجزاتِ الأنبياء هي معجِزاتٌ حسِّيَّة محدودةٌ بالزمانِ والمكانِ ، وانقرضت بانقراض عصورهم ، فلم يشهدها إلا مَنْ حَضَرَهَا ، ومعجزة

القرآن مستمرة إلى يوم القيامة. مع ملاحظة أنّ المسلمَ ليس بحاجةٍ لإعجازٍ علمي ليكون مؤمنًا ومسلمًا صالحًا ، وهو سيصومُ رمضانَ بِغَضّ النظر عن الإعجاز العلمي في صومِ شهر رمضان.

أمة النحل وأمة النمل وغيرهما مثل أمة البشر :

كلُّ كائنٍ بما أودعَ اللهُ فيه مِنْ معرفة ، وما ألهمَه مِنْ إدراك ، وما أعطاه مِنْ إمكانات تساعده على ذلك ، يَبْنِي بيتَه ، ويحصلُ على غذائه ، ويدافعُ عن نفسِه : {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} (طه ٥٠). الكون كله في انسجام تام ، الكل يسبّحُ ، الكل يعبدُ اللهَ ، وفي قصة النملة مع سليمان ، كيف عرفَتْ النملةُ أنه سُلَيْمَانُ نبيّ اللهِ ؟ إنّ أُمَمَ النحلِ والنملِ وغيرها مِن الأمم غير المكلفة مفطورةٌ على الإيمان بالله : {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}، قال تعالى : {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} (الإسراء ٤٤)، {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} (النور ٤١).

إنّ النحلَ والنملَ وغيرهما مِن المخلوقات الحية مجتمعاتٌ كاملةٌ بكل معنى الكلمة ، وهم يقومُون بكلِّ الأعمالِ والمهارات كالبشر مثل التزاوج والتكاثر والتفكير والتخاطب مع عالمها الخاص ، وتقسيم العمل بين أفرادِها ، وبناء الخلايا والمساكن ، وتربية الصغار ، وإنتاج الغذاء بنفسها أو الحصول عليه بعملها ، والأمنّ والحراسة والدفاع ، ولو ذهبت إلى مسافاتٍ بعيدةٍ تجدها ترجع إلى بيتها ولا تضلُّ الطريقَ ، ولها أصدقاءٌ وأعداءٌ وتعرفُ الصديقَ مِن العدوّ ، وتتعاونُ وتعملُ وتخططُ وتنفذُ ، مما يجعلها شبيهة بعالم البشر ، بالإضافة إلى أنّ اللهَ تكفَّلَ برزق جميع الدواب بما فيها الحشرات كما تكفَّل برزق الإنسان. وهذا ما أشار إليه القرآنُ في قوله تعالى : {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (العنكبوت ٦٠)، {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (الأنعام ٣٨).

آياتُ القرآنِ مترابطة :

بعض المشككين والملحدين انتقد القرآنَ وقال إنّ آياته غير مترابطة ، حيث يكون الحديث عن الكفار مثلاً ثم تأتي آية تتحدث عن الكون أو الأرض أو البحار ، ثم يعود الحديث عن الكفار مِنْ جديد. وللردّ على هذا ، فبتدقيق النظر في الآيات مِنْ ٣٦ إلى ٣٩ مِنْ سورة الأنعام ، ومِنْ ضمنها الآية ٣٨ التي نحن بصددها ، نجد أنها مترابطةً ترابطًا كبيرًا ، ولكنهم لا يعلمون.

بالنظر إلى الآية ٣٧ نجدها تتحدث عن طلبٍ للكفارِ والملحدين بأنْ تنزلَ معجزةٌ على النبي صلّى اللهُ عليه وسلم: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}، وقال الكفار متعنتين: نطلبُ أنْ ينزلَ على محمد دليلٌ مادى مِن ربه يشهدُ بصدقِ دعوته. قل لهم أيها النبى: إنّ اللهَ قادرٌ على أن ينزلَ أى دليلٍ تقترحونه. ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون حكمةَ اللهِ فى إنزالِ الآيات ، وأنها ليست تابعة لأهوائهم ، وأنه لو أجاب مقترحاتهم ثم كذّبوا بعد ذلك لأهلكهم ، ولكنّ أكثرهم لا يعلمون نتائج أعمالهم !

ثم تأتي الآية ٣٨ وهي آيةٌ تحوي العديدَ مِن المعجزات: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}، وإنّ أقوى دليلٍ على قدرةِ اللهِ وحكمته ورحمته ، أنه خَلَقَ كلَّ شيءٍ، وليس فى الأرض حيوانٌ يدبُّ فى ظاهرِ الأرضِ وباطنها ، أو طائرٌ يطيرُ بجناحيه فى الهواء ، إلا خَلَقَهَا اللهُ جماعاتٍ تماثلكم ، وجعلَ لها خصائصَها ومميزاتِها ونظامَ حياتِها. ما تركْنا فى الكتاب المحفوظ عندنا شيئًا إلا أثبتناه. وإنْ كانوا قد كذبوا ، فيحشرون مع كلِّ الأممِ للحساب يوم القيامة. فلو كان لدى هؤلاء الملحدين علمٌ كما قال تعالى: {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} فلن يطلبوا أي معجزة ، لأنّ كلَّ شيءٍ في الكون يشهدُ على وجودِ اللهِ الخالقِ الحكيم ، ولذلك جاءت هذه الآية لتحدثهم عن حقيقةٍ لم يكن لأحدٍ علمٌ بها زمنَ نزولِ القرآن ، وهي أنّ بقية المخلوقات هي أُمَمٌ أمثالُنا ، وبالفعل لازال العلمُ يكتشفُ مصداقَ هذه الآية يومًا بعد يوم.

إذًا لا يوجد انقطاعٌ في معاني الآيات ، إنما جاءت الآية ٣٨ مليئةً بالمعجزات لتردّ على الكفار طلبهم في الآية ٣٧ بنزول معجزة ، ولكنهم لم يصدقوا ، فجاءت الآية ٣٩: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، والذين لم يصدقوا بأدلتنا الدالة على قدرتنا وصدقِ رسالتك ، لم ينتفعوا بحواسّهم فى معرفة الحق ، فتخبّطوا فى ضلالِ الشرك والعناد ، تخبّط الأصمِّ الأبكم فى ظلمات الليل ، لا نجاة له مِن الهلاك. ولو كان فى هؤلاء استعدادٌ للخير لوفقَهم اللهُ إليه ، فإنه سبحانه إذا أرادَ إضلالَ إنسانٍ لفسادِ قصده ، تركه وشأنه ، وإذا أرادَ هدايته لسلامة قصده، يَسّر له السيرَ فى طريق الإيمان الواضح المستقيم.

ولكنهم لم يشغلواعقولهم ، ولذلك قال تعالى في الآية ٣٦ التي تسبق الآيات السابقة: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}، إنما يجيبُ دعوةَ الحقِّ مقبلينَ عليه ، الذين يسمعونَ سماعَ فَهْمٍ وتَدَبُّرٍ. وأمّا هؤلاء فلا ينتفعون بدعوتك ، لأنهم فى حكم الأموات. وسيبعثهم اللهُ يومَ القيامة مِن القبور، ويرجعهم إليه ، فيحاسبُهم على ما فعلوا.

تعالى اللهُ عمّا يقوله الكفار والملحدون علوًّا كبيرًا ، وصدقَ اللهُ حيثُ يقول : {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء ٨٢).

النَّحل (bees)

ذَكَرَ اللهُ تعالى النحلَ في القرآن ، ولخَّصَ لنا رحلةَ النحلِ بآيتين فقط ، تتجلَّى معجزاتٌ كثيرةٌ في كلِّ كلمةٍ مِنْ كلماتها وتستحق التفكّر، مع العلم أنّ العلماءَ أمضوا سنواتٍ عديدةً لاكتشاف هذه الحقائق : {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل ٦٨ و٦٩).

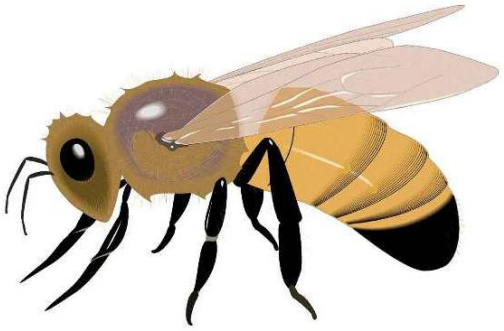

سورة النحل والرقم ١٦ :

– ترتيب سورة النحل في القرآن الكريم هو نفسه عدد صبغيات (كرموسومات) النحل ١٦: ١٦ زوج في الملكة والشغالة ، و١٦ فرد في ذَكَر النحل ، وقد تم معرفة ذلك في عام ٢٠٠٦ فقط.

– ترتيب كلمة "فيه" في الآية ٦٩ مِنْ سورة النحل والتي تتحدث عن الشفاء: {فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ} هو أيضًا ١٦.

– الرقم ١٦ وعيسى بن مريم: ذَكَرُ النحلِ يأتي مِنْ بويضة غير مخصبة بعكس الملكة والشغالة فمِنْ بويضة مخصبة. أي أنه لا دور وراثي لذَكَر النحل في إنجاب ذكور النحل ، حيث أنّ الذكور بالكامل تأتي مِن الملكة مِنْ بويضة غير مخصبة ولذا تحملُ عدد ١٦ فرد مِن الصبغيات (الكروموسومات). وهذا ما حدث في معجزة خَلْقِ اللهِ لنبيِّهِ عيسى بن مريم ، رجلٌ مِنْ أمٍّ بدون أب. وعدد مرات ذِكْر عيسى في القرآن منسوباً لوالدته مريم هو ١٦ فقط؛ ١٣ مرة بلفظ عيسى بن مريم ، و٣ مرات بلفظ المسيح عيسى بن مريم ، بالإضافة لذكر عيسى مجردًا بدون أمّه ٩ مرات.

النحلُ تحيا في جماعاتٍ منظمة :

– إسم السورة جاء بصيغة الجمع "سورة النحل" ، لأنّ النحلَ لا يحيا إلا في جماعات ، وإذا ضلّت نحلةٌ منها عن جماعتها أو انفصلت عنها لسببٍ من الأسباب فإنها إما أنْ تنضم إلى جماعةٍ أخرى إذا قبلتها أو تموت ، ولم تأت السورة بصيغة الإفراد مثل سورة العنكبوت والتي تحيا حياةً فردية.

– وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ : بصيغة الجمع.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ :

– هذه العبارة تؤكد أنّ النحلَ يمكنُ أنْ يكتسبَ خبراتٍ جديدة مِنْ دون الاعتماد على قدراته أو دماغه ، بل بوحيٍ خاص مِن اللهِ، ولذلك لم يقلْ اللهُ عَلَّمَ ، لأنه ثبت أنّ النحلَ لا تتعلم صنعَ العسل ، بل هناك غريزةٌ وضعها اللهُ فيها تدلُّها كيف تعمل ؟ وهناك برنامجٌ دقيقٌ تسيرُ عليه النحلةُ ولا تحيدُ عنه منذ ملايين السنين.

– المقام هنا التحدث عن **نعمة** عسل النحل الذي فيه شفاء للناس ، والأنسب في حال ذِكْر **النعم** و**الرزق** و**العطاء** هو مقام الربوبية "**رَبُّكَ**": {فَاسْلُكِي سُبُلَ **رَبِّكِ** ذُلُلًا} (النحل ٦٩)، {إِنَّ **رَبَّكَ** يَبْسُطُ **الرِّزْقَ** لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} (الإسراء ٣٠)، {**كُلُوا** مِنْ **رِزْقِ رَبِّكُمْ**} (سبأ ١٥)، {فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ **بِنِعْمَةِ رَبِّكَ** بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ} (الطور ٢٩)، {مَا أَنْتَ **بِنِعْمَةِ رَبِّكَ** بِمَجْنُونٍ} (القلم ٢)، {وَلَسَوْفَ **يُعْطِيكَ رَبُّكَ** فَتَرْضَى. ... وَأَمَّا **بِنِعْمَةِ رَبِّكَ** فَحَدِّثْ} (الضحى ٥ و١١). كما أنّ الأنسبَ في حال ذِكْر وجوب الخضوع للهِ بالطاعة والعبودية هو مقام الألوهية "**الله**": {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى **اللَّهِ** رَبِّي وَ**رَبِّكُمْ** مَا مِنْ **دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا** إِنَّ **رَبِّي** عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (هود ٥٦). وهذا يدلّ على دقة ألفاظ القرآن.

اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ :

هذا القدر من الحرية الكبيرة التي أعطاها اللهُ للنحل في اختيار مسكنها وأنْ تتخذ من الجبال أو الشجر أو العرائش (الأكوار التي يبنيها الناس) بيوتًا تأوي إليها ، له حكمة بالغة ؛ لأنه يتيح للنحل فرصة الاستفادة بأكبر عددٍ ممكن من البيئات المختلفة وبما فيها من متنوع النباتات حتى تُنَوِّع ذلك العسل " الشراب " المختلف الألوان الذي يخرج من بطونها والذي فيه شفاءٌ للناس ومن أمراضٍ مختلفة ، هذا بخلاف العديد من الحشرات التي حدد اللهُ لها بيئاتٍ لا تستطيع الخروج عنها وإلا هلكت.

أفضل أنواع العسل : قد ثبت علميًّا أنّ **أفضل أنواع عسل النحل** فائدة مِن الناحية الطبية هو العسل **الجبلي** ، يليه المستخرَج مِن **الشجر** ، وأخيرًا العسل المستخرَج مِن **العرائش** التي يصنعها الناس ، وهذا الترتيب موافق للترتيب القرآني : ١– اتَّخِذِي مِنَ **الْجِبَالِ** بُيُوتًا ، ٢– وَمِنَ **الشَّجَرِ** ، ٣– وَمِمَّا **يَعْرِشُونَ**.

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ :

تقوم النحل والحشرات والرياح بنقل حبوب اللقاح (الذكرية) مِنْ زهرة إلى بويضات (أعضاء تأنيث) زهرة أخرى ، بما يُعرَف بعملية التلقيح الخلطي. لأنّ تلقيح بويضات زهرة بحبوب لقاحها هي يتسبب في إضعاف كلٍّ مِنْ ثمرتها ونسلها ، تمامًا كما يحدث عند البشر في تكرار زواج الأقارب لأجيالٍ متعاقبة.

أنظر كيف تتعبُ النحلة وتعملُ بجدٍّ ونشاطٍ ؟ وكيف تُمسِكُ بالزهرة ؟ وتحرصُ على أخذ كل قطرةِ رحيقٍ منها. مَن الذي سخَّرَ النحلة لهذا العمل؟ ومَن الذي أعطاها هذه القوة لتصنع لنا عسلًا فيه شفاء ؟ إنه الله {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}.

فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا :

– أي أنّ اللهَ ذلَّل وسخَّرَ للنحلة طريقَها وعملَها وحياتَها ، وبالتالي زوَّدها بقدراتٍ عجيبةٍ منها تمييز الزهور والنباتات بسرعة تتفوق بها على الإنسان ، واختيار النوع المناسب مِن الزهور.

– هذا أمر إلى إناث (شغالات) النحل بالتحرك من خلاياها إلى مناطق الزهور والرحيق ثم العودة إلى خلاياها دون أنْ تضلَّ الطريقَ مهما تباعدَت المسافاتُ وتشعبَت الطرقُ بعد أنْ تكون قد أكلت مِنْ كلّ الثمرات وحملت مِن رحيق الأزهار وحبوب اللقاح الخاصة بها.

– زَوَّدَ اللهُ النحلةَ بوسائل لقياس درجة الحرارة وتحديد الدرجة المناسبة لقتل الدبور، وذلّل لها اللهُ الطريق التي تسلكها في صناعة العسل وفي الحفاظ عليه وحمايته مِن الأعداء.

– المقام هنا التحدث عن الطرق التي ألهمها اللهُ للنحلة أنْ تحول ما جمعته مِنْ غذاءٍ إلى عسل وشمع وسم وغذاء الملكات "الشراب"، والأنسب في حال ذِكْر **النعم** و**الرزق** و**العطاء** هو مقام الربوبية " **رَبُّكَ** ": {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} (النحل ٦٨). كما أنّ الأنسبَ في حال ذِكْر وجوب الخضوع للهِ بالطاعة والعبودية هو مقام الألوهية " **الله** ".

مَنْ يقود خلية النحل مَلِكَةٌ وليس مَلِك :

– لاحظ كلمات : **اتَّخِذِي** ، **كُلِي** ، **فَاسْلُكِي** : {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ **اتَّخِذِي** مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ **كُلِي** مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ **فَاسْلُكِي** سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا}، أليست لغة الخطاب هذه مِن اللهِ لأنثى ؟ اتَّخِذِي : الملكة في النحل هي مَنْ تقومُ باختيار مكان الخليّة ويتبعها باقي النحل. كُلِي، وفَاسْلُكِي : يتحدث القرآنُ عن أنثى عقيم أو الشغالة وهي التي تقوم بعملية جمع الرحيق. يبقَى ذكورُ النحل وهو ما لم يُوَجَّه له أي حديثٍ في هذا الوحي ، حيث أنه لا دور له سوى تلقيح الملكة وبعدها ينتهي دوره ويموت أو يُطرَدُ من الخليّة.

– لاحظ هناك فرقٌ عند الكلام بصيغة المفرد أو صيغة الجمع. بالنسبة للذباب قال تعالى : {وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ} (الحَجّ ٧٣)، لم يقل تسلبهم على التأنيث، والعكس هو ما حدث في الجمع بالنسبة للنحل : اتَّخِذِي ، كُلِي ، اسْلُكِي ، ولم يقل : اتَّخِذُوا ، كُلُوا ، اسْلُكُوا ، وذلك لِلَفْتِ النظر لمعنى الأنثى بالذات ، مع أنّ ذباب جمع ذبابة وهي مؤنث ، كما هو الحال في نحل جمع نحلة وهي مؤنث كذلك.

يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ :

لماذا قال اللهُ بطونَها بالجمع ولم يقل بطنها بالمفرد ؟: العسل يتم تصنيعه في بطون النحل وهذه حقيقة علمية لم تكن معروفة زمن نزول القرآن ، وتبين أنّ النحلة فيها ثلاثة بطون : تأخذ الرحيقَ ويدخل للبطن الأولى فترة ثم تفتح صمامًا فينزل للبطن الثانية التي تحوله إلى عسل. وفي نهاية البطن الثانية صمامٌ لا يسمح بنزول العسل منه إلى البطن الثالثة إلا للضرورة وبشيءٍ قليل ، والبطن الثالثة فيها أحشاء النحلة إذ تتغذى بهذا القليل أثناء طيرانها ولتستكمل رحلتها ، وعندما تعود النحلة للخلية فإنها تستعيدُ ما في البطن الثانية مِن العسل الصافي وتخرجُه مِنْ فمِها (وليس مِنْ أمعائها) وتضعه في فتحات الخلية.

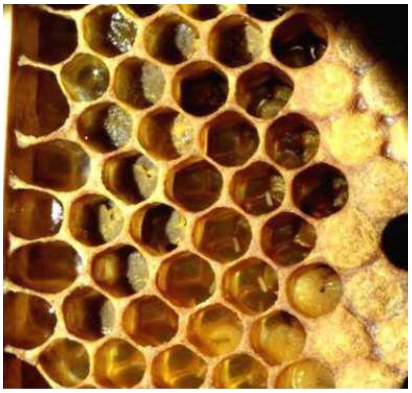

انظر إلى هذه الخلايا الهندسية المنتظمة ، ليست مِنْ صنع مهندس ولا رسم فنان ، إنها مجرد نحلة تقوم بهذا العمل الرائع ! مِن الناحية الهندسية يُعتبر الشكل السداسي مِنْ أكثر الأشكال متانة. مَن الذي ألهمَ النحلةَ هذا الشكل بالذات وليس أي شكل آخر، إنه الله : {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}.

كما جاء لفظ العسل صراحة – وليس إشارة كما في الآية السابقة {يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا **شَرَابٌ**} – في آية أخرى : {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ **عَسَلٍ** مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} (مُحَمَّد ١٥).

شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ :

فَهِمَ جميع المفسرين أنّ الشراب هو عسل النحل ، لأنّ بقية ما يخرج مِن بطون النحلة الشغالة لم يُعرف إلا في القرنين ١٩ و ٢٠ . ومكونات ذلك الشراب المختلف الألوان الذي فيه **شفاءٌ للناس** يمكن إيجازها فيما يلي :

١– **عسلُ النحلِ** : لا يخفَى على أحدٍ الشفاء الذي يقدمه العسل مِنْ كثيرٍ مِن الأمراض ، ومِن المعروف أنّ عسل النحل وشمع العسل مِن الأغذية الغنية **بمضادات الأكسدة** ، وثبت حديثًا أنّ كل نوعٍ مِنْ أنواع العسل له استخدامات تختلف عن النوع الآخر وتركيب مختلف أيضًا ، ولكنها جميعًا تتميزُ بقدرتها على الشفاء وعلاج الكثير مِن الأمراض . وتختلف خواص العسل ولونه باختلاف مصادر الرحيق ، وفصائل الزهور ، والمراعي ، وفصول السنة ، واختلاف سلالات النحل.

٢– الغذاء الملكي : ذو قيمة غذائية عالية ، يتكون أساسًا مِنْ مستخلصات الرحيق وحبوب اللقاح.

٣– شمع النحل : تبنى بها خلية النحل ، وهو عازل للحرارة.

٤– صمغ النحل (العِكبِر): يستخدم في تثبيت الأقراص الشمعية وملء الشقوق الفاصلة بينها ، وفي تبطين عيونها السداسية من الداخل ، وتضييق مداخل الخلايا في فصل الشتاء ، وفي تحنيط الآفات الحيوانية التي تتسلل إلى داخل الخلية بعد قتلها حتى لا تلوث البيئة.

٥– سم النحل : تدافع به النحلة عن ذاتها وعن الخلية.

٦– خبز النحل : حبوب اللقاح مخلوطة بالعسل.

أمة النحل مثل أمة البشر :

للنحل ميزات كثيرة مثل التفكير والتخاطب مع عالمها الخاص ، وبناء الخلايا وتربية النحل وتقسيم العمل بينها وإنتاج الغذاء وطريقة إفرازها للعسل المصفى وغير ذلك ، ولو ذهبت إلى مسافاتٍ بعيدةٍ تجدها ترجع إلى بيتها ولا تضلُّ الطريقَ ، فمَن الذي أرشدها وعلَّمها وألهمها ؟ أليس هو اللهُ سبحانه وتعالى ؟: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}. مما يجعلها شبيهة بعالم البشر، وهذا ما أشار إليه القرآنُ في قوله تعالى : {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (الأنعام ٣٨)، لذلك يجب على الإنسان ألا يقف إلا على الطَّيِّب (مثل النحل) ، لينفعَ نفسَه أولًا ثمّ الآخرين.

النحل والنوم : أثبتت دراساتٌ أنّ النحلَ بحاجةٍ للنومِ مثل البشر تمامًا. وعندما قام الباحثون بحرمانِ النحل من النوم ، إنحفض أداءُ النحل وأصبحت تجدُ صعوبةً في التواصل فيما بينها واضطرب نظام صُنْع العسل. ولذلك فالنوم ضروري جدًّا للكائنات الحية حيث يعمل النومُ على استقرار أجهزة الكائن الحي وراحته وأداء العمل بكفاءةٍ عاليةٍ ، وهذا ما أشار إليه القرآنُ : {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ**النَّوْمَ سُبَاتًا** وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} (الفُرْقان ٤٧)، {وَجَعَلْنَا **نَوْمَكُمْ سُبَاتًا**} (النبأ ٩)، سباتًا أي راحةً واستقرارًا.

عينُ النحلة : تتألَّفُ **عينُ النحلة** مِنْ حوالي ٣٠ ألف عدسة ضوئية فائقة على شكل سداسي ، وهذا يساعدها على الرؤية عبر الغابات ولتتحاشى الاصطدامات أثناء طيرانها وبخاصة عندما تطير وسط حشدٍ مِن النحل ، وتستخدمُ النحلةُ الأشعةَ فوق البنفسجية للرؤية ، وهذه الأشعة تتميزُ بأنّ موجاتها قصيرة ، لذلك تستطيع النحلةُ الرؤيةَ بشكلٍ أسرع مِن الإنسان لأنه يجب عليها التمييز بسرعة أثناء طيرانها مِنْ أجل البحث عن غذائها بين الزهور واختيار النوع المناسب منها : {ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ}.

رأس النحلة لا تتجاوز حجمها رأس الإبرة ، ولكنها تحتوي على آلاف الملايين من الخلايا تعمل جميعها بسرعةٍ فائقة ، أفضل وأسرع مِنْ سوبر كمبيوتر، حيث تستطيع النحلةُ القيامَ بمليون مليون عملية حسابية في الثانية الواحدة.

تمييز النحلة للزهور والنباتات : إنّ اللهَ سخَّرَ للنحلة طُرُقًا محددة تسلكها لتقطع آلاف الكيلومترات في اليوم الواحد في سبيل صنع بعض العسل ، وزود اللهُ النحلةَ بقدراتٍ عجيبة منها تمييز الزهور والنباتات بسرعة تتفوق على الإنسان ، واختيار النوع المناسب من الزهور: {فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا} فمَن الذي ذلَّلَ لها هذه الطرق وألهمها وهداها إلى السير فيها ؟ لتنجز مهمتها في صناعة العسل. مَن الذي زودها بمحرِّكٍ تعجز عن صنع مثله كل أجهزة القرن الواحد والعشرين ؟ إنه الله : {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}.

الدفاع الحراري عند النحل – النحلة والدَّبُّور : ذلَّلَ اللهُ للنحلة الطريق التي تسلكها في صناعة العسل وفي الحفاظ عليه وحمايته من الأعداء ، وألدّ أعدائها **الدَّبُّور**، ولولا أنّ اللهَ هو مَنْ أوحى إلى النحلة كيف تدافع عن عسلها لما وصَلَنا منه شيء. الدَّبُّور يجدُ في خلايا النحل وجبةً شهيةً مِن العسل ويبدأ الهجوم. وبمجرد الاقتراب مِن الخلية تبدأ النحلُ بالتجمع حول هذا الدَّبُّور وتلتف مِنْ حوله وتحيط به مِنْ كل جانب ، ولكن بسبب الحجم الكبير للدبور نسبة لحجم النحلة فإنّ هذه المهمة تتطلب عددًا كبيرًا مِن النحل ، ويختفي الدَّبُّورُ تمامًا وسط النحل الهائجة والمدافعة عن بيتها وخليتها ، وتقوم كل نحلة بهز جناحيها بسرعةٍ كبيرةٍ وهذا يؤدي إلى رفع درجة حرارة جسمها حتى ٤٧ درجة مئوية بسبب الاحتكاك ، وهي أقصى درجة يمكن للنحلة تحمّلها لأنها تموت عند ٤٩ درجة مئوية ، ولكن الدرجة القصوى التي يتحملها الدَّبُّور هي أقل مِنْ ٤٥ درجة مئوية ، وبالتالي يموت الدَّبُّورُ في الحال بفعل الحرارة التي تولدها رفرفات أجنحة النحل ، وبهذه الطريقة الحرارية يتم القضاء على الدَّبُّور وحماية الخلية. تصميمٌ رائعٌ لجناح النحلة ، ولولا هذا التصميم الدقيق لما استطاعت النحلة أنْ ترفرف بجناحها ١٤٠٠ رفة في الدقيقة ، فتأمّل عظمة الخالق سبحانه وتعالى ودقة صنعه. كيف علمَتْ النحلةُ أنّ جسمها لا يتحمل أكثر مِنْ ٤٧ درجة مئوية فتبلغ هذه الدرجة بالضبط ؟! وكيف عرفت النحلة أنّ الدَّبُّور يموت عندما تبلغ درجة حرارته ٤٥ درجة مئوية ؟! وما هو ميزان الحرارة الذي حددت به النحلة درجة الحرارة المناسبة ، فهي أعلى بدرجتين مِنْ درجة الحرارة التي يموتُ عندها الدَّبُّور، وأخفض بدرجتين مِنْ درجة الحرارة التي تموتُ عندها النحلة ؟ هذا مِنْ إيحاءِ وإلهامِ اللهِ لها: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} ، {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} (طه ٥٠).

عقوبة النحلة السكرانة :

بعض النحل تتناول أثناء رحلاتها بعض المواد المخدرة مثل الإيثانول (ethanol) وهي مادة تنتج بعد تخمر بعض الثمار الناضجة ، فتأتي النحلةُ وتلعق قسمًا مِنْ هذه المواد فتصبحُ سكرانة تمامًا مثل البشر، ويمكن أنْ يستمر تأثيرُ هذه المادة لمدة ٤٨ ساعة. وهذه النحل السكرانة تصبح عدوانية ومؤذية ، لأنها تُفسِدُ العسلَ وتُفرِغُ فيه هذه المواد المخدرة مما يؤدي إلى

تسممه. ولكن اللهَ تعالى يصفُ العسلَ بأنه شفاءٌ للناسِ ، فماذا هيأ اللهُ لهذا العسل ليبقى سليمًا ولا يتعرض لأي مواد سامة ؟! في كلِّ خلية للنحل هناك بعض النحل تعملُ كجهاز أمنٍ وحراسةٍ زودها اللهُ بجهازٍ يشبه " أجهزة الإنذار " تستطيعُ به تَحَسُّسَ رائحة النحل السكرانة ، وتقاتلها وتبعدها عن الخلية ، وإذا ما عاودَتْ تناولَ هذه المواد المخدرة مرة أخرى فإنّ الحراسَ تَكسِرُ أرجلَها لكي تمنعها مِنْ إعادة تعاطي المسكرات ! وإذا ما أفاقت هذه النحلة السكرانة مِنْ سَكْرَتِها سُمِحَ لها بالدخول إلى الخلية وذلك بعد أنْ تتأكد فريق النحل المخوّل له بالأمن والحراسة أنّ التأثير السام لها قد زال نهائيًّا. مَن الذي ألهَمَ النحلَ هذا السلوك ؟ وجعلها تضعُ قوانين صارمة تعاقبُ بموجبها تلك النحلة التي تسكر (تشرب الخمر)، وتبدأ العقوبة بالطرد والإبعاد وتنتهي بكسر الأرجل ؟! اللهُ هو الذي أوحى إلى النحل ذلك: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}، وأنّ اللهَ هو مَنْ أمَرَ النحلَ بسلوكِ طرقٍ محددة وذلَّلَ لها هذه الطرق : {فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا}. وهنا يعجبُ الإنسانُ مِنْ هذا النظام الفائق الدقة ، ونجدُ في هذا إجابة لهؤلاء المعارضين للإسلام عندما حَرَّمَ اللهُ تعاطي الخمرَ والمسكرات ، وأمَرَ بجلدِ شارب الخمرِ، فإذا كان النحل يُطبِّق هذا النظامَ بكلِّ دقةٍ ، أليس الأجدر بنا نحن البشر أنْ نقتدي بالنحل ؟!

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ :

فهل تدعونا هذه الحقائق إلى التفكر بآيات اللهِ في النحل. إنّ التقنيات الدقيقة والمعقدة في عمل النحل ليس له تفسيرٌ إلّا قوله تعالى : {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الأنعام ١٠١ إلى ١٠٣).

النَّمْلُ (ants)

يُعتبَر عالمُ النملِ أكثرُ المخلوقاتِ إنتشارًا على الأرض، حيثُ يوجد ٢٠ ألف نوع منه ، وكل نوع يوجد منه الملايين ، وغالبيتها لا يسبب ضررًا مباشرًا للإنسان إلا في حالات نادرة حيث يلوث الأطعمة عند مروره عليها بدون قصد ، ويفسد المخزون بانتشاره فيه. والنمل تقضي على بلايين الحشرات سنويًّا والتي لو تُركَتْ لدمّرَتْ الكساء الخضري للأرض ، وعلى ذلك فإنّ أسرابَ النمل تلعبُ دورًا رئيسيًّا في عملية الاتزان البيئي للأرض ، بالإضافة إلى أنّ النملَ بحفرها المستمر في الأرض تقوم بدورٍ هام في تهوية التربة وتسميدها وتعقيمها وتطهيرها من العديد من الآفات ، وبحركتها وسط النباتات تقوم بدورٍ في تلقيح الزهور ونشر البذور عبر مساحاتٍ واسعةٍ ومتباعدة من الأرض.

النمل تتكلم :

هناك لغة واضحة يتخاطبُ ويتفاهمُ بها مجتمع النمل : {قَالَتْ نَمْلَةٌ}، وأنّ الله أعطى سُلَيْمَانَ القدرة على سماع هذه الأصوات وفهمها : {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا} (النمل ١٩).

أثبت العلماء سنة ٢٠٠٦ بعد دراسة طويلة لعالَم النمل أنّ النملَ مِنْ أكثرِ الحشراتِ تنظيمًا ، ولديه وسائل للتواصل عن بُعد ، ويتكلم كلامًا حقيقيًّا أي يصدر تَرَدُّدَاتٍ صوتيةٍ في المجال المسموع ، إلّا أنّ هذه الترددات تحتاجُ لأجهزةٍ دقيقةٍ مِنْ أجلِ التقاطها وتسجيلها. إنّ النملَ يتفوقُ على البشر في حاسة السمع ، وتستخدمُ النملةُ أجهزةَ الإحساس : قرون الاستشعار (الهوائي)، مِنْ أجل بث واستقبال الترددات الصوتية ، حيث تقوم النملةُ بتضخيم الإشارة الضوئية القادمة إليها مثل أجهزة الاستقبال الحديثة ، بل وتقوم بإزالة مختلف التأثيرات ، أي تقوم بعملية تنقية للصوت ، لتمييزه عمّا سواه والاستشعار عن بُعد. وهذا نظامٌ متطور جدًّا للاتصال كان مجهولًا للعلماء ، ولم يكتشفوه إلّا منذ سنواتٍ قليلة.

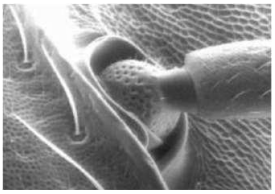

صورة لقرن الاستشعار (الهوائي)، لاحظ التعقيد والدقة في التصميم والصنع ، مع العلم أنّ سمكه لا يتجاوز أجزاء قليلة مِن الميكرون (واحد على ألف مِن الميليمتر)، وتأمل كيف يبرز قرن الاستشعار وينفصل مِنْ رأس النملة بدقة فائقة تعجز تقنيات القرن الحادي والعشرين عن تقليدها ! لقد هيَّأ اللهُ للنملة قروناً تستشعر بها وتتحسس وتتذوق الغذاء ! وهذان القرنان هما مصدر المعلومات بالنسبة للنملة وتكون في حالة الحركة عندما تكون النملة نشيطة.

ولكنّ القرآنَ الكريمَ تَحَدَّثَ عن هذه الحقيقة العلمية والتي لم يكن أحدٌ ليقتنع بها حتى زمنٍ قريب ، وأخبرنا أنّ النملَ يتكلم ؛ عندما قَدِمَ سُلَيْمَانُ إلى وادي النمل مع جنوده ، قال تعالى : {حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (النمل ١٨). نحن أمام نصوص آية واحدة قليلة اللفظ ولكنها محكمةُ السَّبْكِ بديعةُ المعنى ، وكلّ هذا يشهد بأنّ القرآنَ الكريمَ اشتمل على بلاغةٍ وفصاحةٍ لا يمكنُ أنْ يصلَ إليها البشرُ مجتمعين ، فكان هذا أحدَ وجوه الإعجاز الذي جاءت به رسالةُ الإسلام الخاتمة ، هذا بالإضافة إلى الإعجاز العلمي ، والذي سبقَ القرآنُ به العلومَ الحديثة ، فأخبرَ عن **حقائق علمية** في وقتٍ خَلَتْ فيه أبسطُ أنواع الوسائل التي تُمَكِّنُ مِنْ تلك الاكتشافات ، فجاء سابقًا لها بوقتٍ طويلٍ جدًّا. أمرٌ طبيعي أنْ يكون كَلامُ اللهِ معجزًا ويكتشف الناسُ ذلك رويداً رويداً بحكمِ إعمالِ عقلِهم ومحاولة نفوذهم مِنْ أقطار الأرض ، وهذه شواهد متعددة في آية واحدة تشهدُ بأنّ هذا القرآنَ نَزَلَ مِنْ عند اللهِ تعالى ، مشتملًا على عِلمِهِ سبحانه ، ليكون شاهدًا على الناس جميعًا في كلّ زمانٍ ومكانٍ. ففي هذه الآية إشارة واضحة إلى العديد مِن الحقائق العلمية الأخرى :

جاءت **كلمة نملة نكرة** : {قَالَتْ نَمْلَةٌ}، لأخذ العِبَر والعظات ، فالنكرة للتفخيم ، وفي نفس الوقت ليذوب الفردُ في الجماعة طالما يقومُ كلٌّ منهم بعملِه على أكمل وجه ، إذن فكلٌّ منهم مجهولٌ في الآخر، وذلك مِنْ طبعها ، لأنها لا تعرف الأنانية أو حبّ الذات ، ومجتمع النمل مجتمع تعاوني مثالي ، الفردُ فيه أغلى شيء في المملكة بالنسبة للجميع ، وفي نفس الوقت يُضَحِّى الفردُ فيه بنفسه مِنْ أجل الجماعة.

النملُ تحيا في جماعاتٍ منظمة :

– إسم السورة جاء بصيغة الجمع " سورة النمل " ، لأنّ النملَ لا يحيا إلا في جماعات ، وإذا ضلّت نملةٌ منها عن جماعتها أو انفصلت عنها لسببٍ من الأسباب فإنها إما أنْ تنضم إلى جماعةٍ أخرى إذا قبلتها أو تموت ، ولم تأت السورة بصيغة الإفراد مثل سورة العنكبوت والتي تحيا حياةً فردية .

– **وَادِ النَّمْلِ** : ثبت أنّ النملَ تحيا في جماعات يتفاوت عدد أفرادها بين بضع عشرات وعشرات الملايين ، يحكمها تنظيمٌ دقيقٌ ، تتنوع فيه المسئوليات والوظائف والأعمال التي تُؤَدَّى كلها بمستوياتٍ مبهرة من الإتقان في الأداء ، والتفاني في العطاء ، والثبات والاجتهاد والمثابرة التي يفتقر إليها الكثير من الناس. وقد يحتوي بيت النمل على كائناتٍ أخرى مثل حشرة **المَنّ** وبعض الخنافس تتعايش مع النمل في تكافلٍ عجيب.

– يَا أَيُّهَا **النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ** : كل تلك الكلمات بصيغة الجمع.

نملة تسحبُ قطرةً مِن المادة السكرية اللذيذة التي تحبها والتي تفرزها حشرة المنّ ، هذه النملة تفرز مادة لاصقة تجعلُ مِنْ حشرة المنّ تلتصق بورق النبات فلا تقدرُ على الخروج خارج الدائرة التي تحددها لها النملة ، فتقومُ بإفراز المواد السكرية ولكنها تبقى وتتجمعُ في نفس المكان حتى تأتي النملةُ فتمتصها.

يقوم النبات بإفراز مادة عطرية تجذب الحشرات الكبيرة نسبيًا مثل النمل ، فتعلمُ من خلال هذه الرائحة أنّ هناك وجبة دسمة على سطح هذه الورقة ، فتأتي النملة على الفور وتهاجم الحشرة الصغيرة وتأكلها ، وبالتالي تخلص النبات منها.

سورة النمل والرقم ٣ :

– النملُ ورد في القرآن وفي الآية ذاتها ثلاث مرات فقط بعدد جنس مملكة النمل الثلاثة :

١– **مَلِكَةُ** النمل: وهي أنثى خصبة يافعة ، دورها هو وضع البيض لإنتاج الذرية ، والإشراف والتنظيم والحفاظ على رعيتها وإدارة الحكم ، وهي الآمرة الناهية في مملكة النمل.

٢– **الشغالات** (العاملات): وهي إناث عقيمة ، تقوم بإنجاز جميع الأعمال اللازمة لحياة أفراد مجتمع النمل : تنظيف البيئة ، تربية الصغار والاعتناء بهم ، الدفاع عن نفسها وعن المستعمرة ، إنتقاء الأنواع المفيدة من الطعام وتخزين الغذاء والتركيز على الأنواع الدسمة ليستفيد منها في الشتاء.

٣– **الذكور** : وهم ذكور خصبة ، ودورها هو تلقيح الملكة فقط ، وهنا ندرك دقة التعبير القرآني بقوله تعالى : {قَالَتْ نَمْلَةٌ} بالمؤنث (تاء التأنيث) ليدلّنا على أنّ النملة الأنثى هي التي تتولى مهمة الدفاع والتحذير من الأخطار ، ويتأكد ذلك مِنْ لفظ " قَوْلِهَا " (وليس قوله) في : {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا}.

– رقم سورة النمل في القرآن هو ٢٧ وهذا العدد يساوي ٣×٣×٣ ، فسبحان اللهِ !

النملُ توزعُ الأعمالَ والاختصاصات :

{**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ**}، لدى مجتمع النمل تخصصات في العمل وهو يقسمُ نفسَه إلى فرق ، كل مجموعة تقومُ بعملٍ محددٍ ، لعدة أسابيع ، الأمن والحراسة والدفاع عن المستعمرة ، وهناك نملٌ مهمتها التنظيف والإشراف على النملِ السارح في الوادي ، وإعطاء التعليمات ومخاطبة مجتمع النمل وتحذيره وإرشاده ماذا يفعل في الحالات الطارئة لدى وجود خطر؟ وهذا مِنْ باب النصح والشفقة على زميلاتها وأخواتها ، وهناك مجموعات أخرى للعناية بالأطفال الصغار وتعليمها كل شيءٍ ، ومجموعات للزراعة وحراثة الأرض وغير ذلك مِن الأعمال ، وبعد عدة أسابيع تتبادل النملُ المهمات لتكتسبَ كلٌّ منها مهاراتٍ جديدة. والشيء المهم أنّ النملَ تقوم بعملها طواعية وليست مُكرَهة.

بعد أنْ تقطعَ الورقة وتحملها إلى مستعمرة النمل لتتغذى عليها هي وأفراد مملكة النمل ، فإنّ الحشرات والذباب الطفيلي تحاول الهجومَ على هذه النملة والتي لا تستطيع الدفاعَ عن نفسها لأنها تحمل الغذاء بفكيها ، ولذلك فإنّ النملة تحمل نملةً أخرى فوق الورقة مهمتها الدفاع عن أختها والغذاء الذي تحمله ، سبحان اللهِ الذي ألهمَ النملَ هذه الوسائل للدفاع عن نفسه وعن رزقه ، ولولا وسائل الدفاع هذه لانقرض مجتمعُ النمل ، ولكنها رحمة الله بخلقه حيث قال تعالى : {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (هود ٦)، {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (العنكبوت ٦٠).

هذه ليست صورة لفك مفترس ، بل هي مجرد نملة ! ويقول العلماءُ إنّ النملةَ تتمتعُ بفكين عنيفين جدًّا ، حيث تستطيعُ الإطباق على الفريسة بسرعةٍ هائلة تفوق سرعة فك التمساح. ولذلك فإنّ النملة قياسًا إلى حجمها تُعتبر مِنْ أقوى وأعنف المخلوقات على وجه الأرض. فكم أنت ضعيفٌ أيها الإنسان المتكبِّر، أمَا آنَ لك أنْ تتواضع ؟ قال تعالى : {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا. يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} (النساء ٢٦ إلى ٢٨).

العقوبات عند النمل : النمل تشبه البشر في الكثير من الأشياء ، حتى في مجال القضاء والقانون والعقوبات. النمل لديها جنود وعناصر شرطة ، ولكل مستعمرة نمل هناك جيش نظامي ، وهناك تخصصات مثل المراقبة والتحذير والحراسة. وتقوم النمل بوضع قوانينها الخاصة التي بموجبها تعاقب النملة التي ترتكب خطأً أو تقصّرُ في عملها ، فتقضمُ جزءًا مِنْ أرجلها لتردعها في المرة القادمة عن الخطأ. في الصورة نرى نملتين مِنْ عناصر شرطة النمل تعاقبان نملة ارتكبت خطأ ما.

النملُ تبني المساكنَ (الهندسة المعمارية) :

– **النملُ تبني المساكنَ وتحتمي بها** : {ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ}، وجاءت النملة بلفظ مساكنكم ولم تقل بيوتكم أو جحوركم لأنهم في حالة حركة ، والحركة عكسها السكون ، فاختارت لفظ المساكن مِن السكون حتى يسكنوا فيها ، ولم تقل المساكن والجحور وإنما قالت مَسَاكِنَكُمْ أي أنّ لكلّ نملةٍ مسكنها الخاص الذي تعلم مكانه. النملُ تقومُ بأعمال بناءٍ بارعة هندسيًّا وجيّدة التهوية كالبشر وتقومُ بترتيب المسكن بشكلٍ جيّد، وتقوم بتأسيس القرى والمستعمرات ، لدرجة تسمية وادي باسمها : {وَادِ النَّمْلِ}. وكذلك لدى النمل تقنيات للحفاظ على الطعام وتخزينه وفق أفضل الشروط، فمِنْ ذلك أنها تكسر كل حبة تدخرها قطعتين لئلا تنبت إلّا الكزبرة فإنها تكسرها أربع قطع ؛ لأنها تنبت إذا كُسِرَتْ قطعتين ، فسبحان مَنْ ألهمها هذا ، ولديها وسائل للتحكم في درجة حرارة المسكن ، وبالتالي تحافظ على درجة حرارة مناسبة لها ولصغارها وللطعام المُخَزَّن، وتقومُ النملُ بصيانة المسكن مِن الأعشاب الضارة والفضلات وبقايا الطعام.

– جاءت " **مساكن** " بصيغة الجمع لتوحي بأنها لم تقتصر على فنٍّ واحدٍ في عمارة بيوتها ، بل هناك أنواعٌ أخرى مِن البيوت في أماكن مختلفة مِن البيئة ، فهي تبني مساكن فوق الأرض وتحت الأرض مع جعل مدخل العش فوق مستوى سطح الأرض خوفًا مِن الأمطار والمياه ، وتتخذُ مِن الأشجار العتيقة بيوتًا ، كما يتخذُ الإنسانُ مِن الجبال بيوتًا. ولكننا على يقين أنّ النملَ هدى إليه بفطرته التي فطره اللهُ عليها ، بلا تعليم ولا مدرسة ، فهو متواجد قبل الإنسان بملايين السنين : {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} (طه ٥٠).

– تعبير " **المسكن** " يوحِي بالراحة والطمأنينة والأمان والاستقرار والسكينة والوقار، وذلك بعد الجدِّ طوال النهار، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان المسكن يحوي كل مقومات الحياة مع نظامٍ دقيقٍ ينضبط مع منهج الفطرة السليمة. ولذلك فإنّ القرآنَ سمَّى هذه البيوتَ مساكن ، وهي تسمية دقيقة جدًّا مِن الناحية العلمية وتشهد على إعجاز القرآن : {قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ. ... صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} (النمل ١٨ و٨٨).

رَفَعَ النملُ مدخلَ المسكن (الذي يظهر في الصورة) فوق مستوى سطح الأرض خوفًا مِن الأمطار والمياه، مع العلم أنّ المسكن تحت سطح التراب !

هذه ليست تلّة أو منزل ريفي ، إنها مسكن مِنْ صُنع النمل. وقد وجَدَ العلماءُ أنّ هذه المساكن تضاهي تلك التي يصنعها البشر ، فهي مرتفعة عن الأرض لتجنب الأمطار والسيول ، وهي مُزَوَّدَة بكل ما تحتاجه النمل مِنْ غُرَفٍ للمبيت ، وغُرَفٍ لحضانة صغار النمل ، ومستودعاتٍ ومخازنَ خاصةٍ لتخزين الغذاء ، وفتحاتٍ تهوية ، ووسائل تعقيمٍ ، وغرفةٍ للملكة. وهناك مجموعة مِن النمل الكشافة تقومُ بعملية إستكشافٍ وتقييم للموقع قبل التوجه لبناء المستعمرة.

تنظيمُ المرور :

– النملُ يتمتعُ بنظامٍ للمرور لتجنب الفوضى والهلاك ، حيثُ نجدُ نملةً تعمل مثل شرطي المرور تنظم السير وتوجّه الإنذارات وترسل استغاثة لدى وجود أي خطر، وتخاطب النملَ بلغةٍ يفهمونها : {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ}.

– حركةٌ دقيقةٌ للنمل أثناء العمل وجمع الطعام والقيام بالمهمات اليومية مثل تربية الأولاد وبناء المساكن والدفاع عن المستعمرة.

– وخلال هذه العمليات لا يحدث أي تصادم أو حوادث على الرغم مِن الأعداد الهائلة للنمل والتي تسير في مساحات محدودة.

– إنّ النمل يتفوق على البشر في تنظيم حركة المرور لديه ، وهو يعمل بكفاءة عالية حتى أثناء الزحام ، بل إنّ النملَ يستطيعُ التحركَ في مجموعاتٍ كبيرةٍ والتوجه إلى مساكنه خلال لحظات دون حدوث أي حادثٍ أو اصطدامٍ أو خلل.

– النملة التي تنظم المرور لها طريقٌ سريعٌ خاصٌّ بها (free way) للتوجيه ، لا تسلكه بقية النمل ، وهناك طريق في الوسط تسلكه النمل المحمَّلَة بالغذاء والحبوب والمواد القابلة للتخزين ، أمّا النمل الفارغة فلها طريق سريع على الجوانب لأنّ حركتها تكون أسرع مِن النمل المحمَّلَة ، كل هذا يحدث بنظامٍ فائقِ الدقة بلا أي خللٍ أو خطأ ، سبحانَ اللهِ.

الدفاع عن المساكن والمستعمرة :

إنّ الله زَوَّدَ النملة بالقدرة على إفراز مواد كيميائية مطهرة ، تستطيع بها تعقيم مسكنها وتطهير اليرقات والبيوض لئلا تهلكها البكتيريا والفطريات. فهي تقوم بتغليف الشرانق بغلافٍ مِنْ هذه المادة يحميها مِنْ شر البكتيريا ، وتستخدمها أيضاً لتطهير غذائها المختزن لفتراتٍ طويلة ، ولولا هذه المادة لهلك النمل على الأرض. وتستطيع النملة أنْ تُفرِزَ حمض النمليك الذي يُعتبَرُ مادة مخدرة للخصم ، تستخدمه للدفاع عن نفسها وعن المستعمرة.

النملُ تمتلكُ مهاراتٍ عالية ، ولديها درجة مِن الأمن ووسائل وخطط عسكرية للدفاع عن نفسها ، حيث تطلق الإنذارات والإشارات الصوتية للتحذير لدى الإحساس والشعور بأدنى خطر، فالنملة في هذه الآية أوصلت خبر الخطر في أربع مراحل متسلسلة :

١– {**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ**} :

هذه العبارة بمثابة أول صفارة إنذار أطلقتها النملة لتثير الانتباه العاجل لباقي النمل ، وهنا باقي النمل يستقبل هذه الإشارة لينتبه إلى باقي الإشارات التي ستصدرها النملة. حرف النداء "يا" دال على البُعد حتى يسمعوا نداءها.

٢– {**ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ**} :

هنا أتْبَعَتْ النملة كلامَها بإشارةٍ أخرى تأمر فيها باقي النمل بما يجبُ القيامَ به. وهذا فيه إيجازٌ بالحذف بليغ ؛ لأنّ أصله: ادخلوا في مَسَاكِنِكُمْ ، فحذف منه "في" تنبيهًا على السرعة في الدخول.

٣– {**لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُه**} :

في هذه العبارة قامت النملة بتوضيح سبب الخطر لرفيقاتها ، لكيلا يُحَطِّمَكم سُلَيْمَانُ وَجُنُودُه.

٤– {**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**}:

وهم لا يعلمون بمكانكم ولا يحسون بوجودكم ، أي لو شعروا لم يفعلوا.

– **أدب النملة** في الاعتذار لنبى اللهِ : قالت ذلك على وجه العذر، واصفةً سُلَيْمَانَ وجنودَه بالعدل ، وهو إشارة إلى الدين والعدل والرأفة ، وأيضاً إشارة إلى فطرتها السليمة ، وكأنَّ هذه النملة عرفت أنّ الأنبياء معصومون ، فلا يقع منهم خطأ إلا على سبيل السهو : {لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}.

– النمل وكردّة فعل لما سبق مِنْ إنذارات ستحاول القيام بنوعٍ مِن الدفاع ، وفي هذه العبارة الأخيرة {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} وضَّحَتْ النملةُ لباقي رفيقاتها بأنه لا ضرورة للدخول في هجومٍ مع هذا الخطر؛ لأنه ليس نابعًا عن عدوٍّ حقيقي هدفه الهجوم على المملكة ، إذ أنّ سُلَيْمَانَ وجنودَه لم يشعروا أصلاً بوجود وادي النمل في طريقهم ؛ لهذا فهو لا يُعتبَرُ عدواً حقيقياً.

– وبهذا منعت النملةُ باقي النمل مِن الانتقال إلى مرحلة الهجوم التي تؤدي إلى الموت ، ولذلك فقد تبسم سُلَيْمَانُ مِنْ عجيب مقالتها وحسن فطنتها وقوة تعبيرها.

النملة تتحطم :

اكتشف العلماء أنّ جسمَ النملة مُغلَّفٌ بغلاف عظمي صلب جداً (exoskeleton) كالزجاج مِنْ مادة الكيتين (chitin)، ليس له مرونة تجعله ينحني مثلاً ، ولذلك فإنّ النملة لدى تعرضها لأي ضغط فإنها تتحطم وتتكسر كالزجاج ، وبالتالي فإنّ كلمة {يَحْطِمَنَّكُم} والتي تعني التكسر دقيقة جداً مِن الناحية العلمية ، أليست هذه معجزة قرآنية ؟!

كيف عرفت النملة بأنه سُلَيْمَانُ وجنوده ؟

مملكة النمل قائمة ، لا سلطان لنبي اللهِ سُلَيْمَانَ عليها ، غير أنّ اللهَ علّمَه لغتَها ، وأخذَ العِبَرَ مِنْ تصرفاتها ، مما جعله يبتسمُ {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ} (النمل ١٩). إذن ، فكيف عرفَتْ النملةُ أنه سُلَيْمَانُ نبيّ اللهِ ؟

– الكون كله في انسجام تام ، الكل يسبّحُ ، الكل يعبدُ اللهَ ، هل مِنْ هنا عرفَتْه ؟ قال تعالى : {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} (الإسراء ٤٤)، {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} (النور ٤١). إنّ أمّة النمل كغيرها من الأمم غير المكلفة مفطورة على الإيمان بالله تبارك وتعالى.

– هل الأجناس الأخرى على عِلْمٍ بما أرسلَ اللهُ مِن الرسل ، وكل الأجناس يؤمنون بكل نبي في زمانه ؟

– لقد أنطق حُبّ النبي صلّى اللهُ عليه وسلم الحَجَرَ ، وحَرَّكَ الشجرَ ، وأبكى الجِذعَ ، وأسكبَ دَمْعَ الجمل ، وحرّك الجمادات والنباتات شوقًا إليه وفرحًا به ، إنها آياتٌ ومعجزاتٌ لنبينا صلّى اللهُ عليه وسلّم حدثت له في حياته ورآها أصحابُه ، وثبتت في صحيح الأخبار:

– **حنين الجذع** : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وأَنَسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ، ذَهَبَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَحَنَّ الْجِذْعُ ، فَأَتَاهُ ، فَاحْتَضَنَهُ ، فَسَكَنَ. فَقَالَ : " لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة رقم ١٤١٥).

– عن عليّ بن أبي طالب قال : " كنت مع النبي صلّى اللهُ عليه وسلم بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله جبلٌ (أي حجر) ولا شجرٌ، إلا وهو يقول : السلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ " (رواه الترمذي وصححه الألباني).

– وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات ، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة : {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة ٧٤).

– بل ترقى الجمادات إلى الشعور والعاطفة ، لقول اللهِ تبارك وتعالى : {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ} (الدخان ٢٩).

– وفي الآخرة سوف تُفَكّ الشفرات ، وكل اللغات لغة واحدة ، تُفهم ، ويكون العِلْمُ عندئذ عِلْمَ اليقين : {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (يس ٦٥)، {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا} (النبأ ٣٨).

النمل والبيئة :

إنّ النملَ ضروري جدًّا للحفاظ على البيئة :

– فهي تقلّبُ التربة فيدخل الهواء إليها، وتحرك المادة العضوية في التربة ،
– وتلقح الزهور أحياناً ،
– وهي غذاء مهم للعديد مِن الحشرات ،
– والنملة تأكل الحشرات وتعتبر مِن أهم الحشرات المفترسة للحشرات الأخرى وبالتالي تحدث توازنًا في عالم الحشرات.

رحمة النمل :

ومِنْ عجائب ما رآه العلماء أنّ بعضَ أنواع النمل تعيش مع عبيدٍ لها وتحافظ عليهم ، تجبرهم على جمع العلف اللازم للغذاء، وتأكل معاً ، والنمل حريصة على إطعام " العبيد " ، ولكن إذا غابت العبيد أو أصابهم مكروه تمتنع النمل عن الأكل حتى ولو كان الغذاء موجودًا وتستمر كذلك حتى يعود العبيد أو أنها تموت جوعًا.

عجائب الموت عند النمل :

– إنّ النملةَ عندما تموت تنعي نفسَها ، لكن كيف تنعي نفسَها ؟ وجدَ العلماءُ أنّ النملَ ينشر عند موته رائحة خاصة تنبه بقية الأفراد على ضرورة الإسراع بدفنه قبل انجذاب الحشرات الغريبة إليه ، فإذا شمّوا الرائحة علموا أنّ نملةً ماتت فيقومون بواجب التشيع.

– وعندما قام أحد العلماء بوضع نقطة مِنْ هذه المادة على جسم نملة حية ، سارع باقي النمل إليها ودفنوها حية ، على الرغم مِنْ أنها حية تتحرك وتقاوم ، وحينما تمّت إزالة رائحة الموت ، تم السماح لهذه النملة بالبقاء في العش. وتُسَمَّى هذه الرائحة ب " حمض الزيتيك أو الأوليك ".

– فكما أنّ الإنسان يدفِنُ موتاه ، النملُ كذلك يدفنُ موتاه ، ويؤمن كما يؤمن به الإنسان ، أنّ مِنْ تكريم الإنسان دفنه ، وكذلك للنمل مدافنه الخاصة ، وهي مقابر جماعية ، والنمل نظيف جدًّا ، لا يعمل المقبرة في المستعمرة ، وإنما بعيدًا عنها. و**موكبُ التشيع** موكبٌ هائلٌ عظيمٌ ، يشيعون النملةَ إلى مَقرِّها الأخير، وهكذا مِثْل الإنسان.

– وقد تموت في اليوم الواحد نملٌ كثيرة يبلغ عددها عشرات وأحياناً بالمئات ، ومِنْ كثرة الاحتكاك بالموتى تنتقل رائحة الموت إلى النمل اللاتي يقمن بعملية الدفن ، فتحرصُ النملةُ عندما ترجع مِن المقبرة بلعق نفسها بلسانها لتزيل كلَّ أثرٍ عَلِقَ بها مِن الرائحة ، لأنها إنْ بقيت فستُدفَن وهي حية.

صورة لنملة تحمل نملة أخرى ميتة إلى مقبرة النمل! ويقول العلماء إنّ هذا السلوك يشبه سلوك البشر في دفن الموتى في أماكن خاصة. وربما نجد مثل هذه الظاهرة لدى الكثير من الكائنات الحية ، فسبحان الله الذي ألهمَ هذه المخلوقات وهداها لمثل هذا السلوك !

أمة النمل مثل أمة البشر :

للنمل ميزات كثيرة مثل التفكير والتخاطب مع عالمها الخاص ، وبناء المساكن وتربية النمل وتقسيم العمل بينها وجمع وإنتاج الغذاء وغير ذلك. مما سبق يتأكد لنا أنّ النملَ مجتمعٌ كاملٌ بكل معنى الكلمة ، وهو يقومُ بكلِّ الأعمالِ والمهارات

مثل البشر، مما يجعلها شبيهة بعالم البشر، وهذا ما أشار إليه القرآنُ في قوله تعالى : {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (الأنعام ٣٨).

مفادُ ما سبق أنّ القرآنَ يتفقُ مع العلم الحديث ، وليس كما يَدَّعِي المشككون أنه لا يتفقُ مع العلم والمنطق والعقل ، فتراهم يلجأون إلى الآيات التي يصعبُ تفسيرُها في ظلّ المعرفة المتوافرة ، فيقولون إنّ القرآنَ يعرضُ الأساطيرَ والخرافاتِ ، ولذلك فقد عَلِمَ اللهُ تعالى بأمثالِ هؤلاء وحدثنا عنهم قبل ١٤٥٠ سنة : {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (الفرقان ٥)، {إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (الأنعام ٢٥، المؤمنون ٨٣، النمل ٦٨)، {وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (النحل ٢٤)، {فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأحقاف ١٧)، {إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (القلم ١٥، المطففين ١٣).

يجب أنْ نقرّ أنّ الحقائق العلمية لا يمكن أنْ تتعارض مع ما ذُكِرَ في القرآن الكريم (العِلْمِ الإلهي) فإنْ تعارضت ، فلا شكّ أنّ ما أثبته القرآنُ هو الحق وأنّ العِلْمَ البشري قد جانب الحقيقة. وسبحانَ اللهِ فهذه الحقائق العلمية لم يكن أحدٌ يعلمُ بها زمن نزول القرآن الكريم منذ ألفٍ وأربعمائة وخمسين سنة : {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا} (النساء ٨٧ و١٢٢).

العَنْكَبُوتُ (spider)

ولقد استخدم اللهُ عز وجل العنكبوتَ كأحد جنوده لحماية رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – عند خروجه مِنْ مكة مهاجرًا ، عندما اختبأ في **غار ثور ونَسَجَ العنكبوتُ بيتَه على فتحة الغار** مما صَرَفَ المشركين عن البحث فيه.

مِنْ عجيبِ ما خَلَقَ اللهُ تعالى هذه الحشرة الصغيرة " العنكبوت "، التي اختار اللهُ تعالى لها سورة في القرآن الكريم سُمِّيَتْ باسمها ، قال تعالى : {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (العنكبوت ٤١)، فمَنْ يؤمن بالله فبيته قوي متين ، ومَنْ يشرك بالله ويعبد الأصنام فبيته واهنٌ كبيت العنكبوت ، وكون بيت العنكبوت واهن ، هو ما يعرفه عموم الناس مِنْ واقع حياتهم ، فيستطيع طفلٌ صغيرٌ بإصبعه أنْ يخرب بيت العنكبوت الواهن.

هذا مَثَلٌ يضربُه اللهُ تعالى : {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (العنكبوت ٤٣)؛ الولاية : تعني النصرة وتُشعِرُ بالتدبر والقدرة والفعل ، الوَلِيّ : هو الناصر والنصير، بيت يعني : المسكن ، وفرش البيت ، ويطلقُ البيتُ أيضًا على امرأة الرجل وعياله. مَن احتمى بغير اللهِ (مِن الكافرين ، المنافقين ، اليهود والنصارى ، الشياطين: إبليس وذريته ، أو الظالمين) يرجو نصرَه ونفعَه ورزقَه كمَن احتمَى ببيتِ العنكبوت الذي لا يحميها مِنْ شيءٍ ولا يقيها مِنْ حرّ ولا برد ، ووجد نفسَه واقعًا في شراك الضياع وعدم الاستقرار، فكما أنّ بيتَ العنكبوت يعتبر غاية في الضعف والوَهَن ، فكذلك مَنْ يُسْتعانُ به مِنْ دون اللهِ ، هو أيضاً غاية في العجز وعدم القدرة ، ومَنْ فَقَدَ القدرة على حماية نفسه ، فهيهات أنْ يحمي غيرَه ، إنّ عبادتهم لغيرِ اللهِ سبحانه لا تغني عنهم مِنْ عذابِ اللهِ مِنْ شيء ، فما أجهل هؤلاء المستعينين بغيرِ اللهِ ، ولو كان هؤلاء يعلمون ما ينتظرُهم مِنْ عذاب بسبب كفرِهم ، ما ركنوا لغيرِ اللهِ وما عبدوا غيرَ اللهِ : {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ} (طه ١٢٤ إلى ١٢٦).

وقد وَصَفَ اللهُ تعالى المنافقين والكافرين بقوله : {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} (البَقَرَة ١٨)، {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} (البَقَرَة ١٧١)، وهم على الحقيقة ليسوا صُمًّا ولا بُكمًا ولا عُميًا ، لكن لمّا لم يستفيدوا مِنْ حواسِّهم هذه جعلها اللهُ بمنزلة المعدومة والمعطلة ، وكذلك الشأن في هذه الآية التي بين أيدينا.

القرآن الكريم يهدف إلى تصحيح مفاهيم الناس ، فيُبَيِّنُ لهم أنّ مَنْ يبحثون عنده الأمان والنصرة – مِنْ أفرادٍ أو دُوَل – هو ذاته عاجز عن توفير الأمان لنفسه. فالعنكبوت إنْ نزل مطرٌ شديدٌ أو هاجمَها طيرٌ فإنها تتركُ بيتَها ، وتلجأُ إلى ثقبٍ في جذعِ شجرة ، أو تحت حجر، تاركةً بيتَها التي تعلمُ يقينًا أنه لا يغنيها شيئًا. فمَنْ طلبَ النجاةَ مِن البلل بالمطر، أو التمس الظل أو الحماية مِنْ عدو ، بجلوسه تحت بيت العنكبوت ، يكون أحمق الناس ؛ لأنّ بيت العنكبوت لو كان مفيدًا في أيٍّ مِنْ ذلك ، لأفادَ العنكبوتَ صاحبةَ البيت. ولكن العنكبوت – وهي الأدرَى بخصائص بيتها – لا تلتجئُ ببيتها عند الشدائد.

بيت العنكبوت : أوْهَنُ البُيُوتِ وأقوَى الخُيُوطِ:

كلُّ كائنٍ بما أودعَ اللهُ فيه مِنْ معرفة ، وما ألهمَه مِنْ إدراك ، وما أعطاه مِنْ إمكانات تساعده على ذلك ، يَبنِي بيتَه ، ويحصلُ على غذائه ، ويدافعُ عن نفسه : {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} (طه ٥٠)، {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (الأنعام ٣٨). إنّ أنثى العنكبوت تبني بيتَها مِنْ هذه الخيوط الدقيقة التي تفرزها في دقة متناهية ، يعجز عنها عباقرة المهندسين مِن البشر، ويحتاج بيتُ

العنكبوت في بنائه إلى ٤٠٠٠٠٠ خيط مِن الخيوط الحريرية بالغة الدقة ، لدرجة أنّ شعرة الآدمي يزيد سمكها على سمك خيط العنكبوت بمقدار ٤٠٠ ضعف ، ومع هذه الدقة البالغة ، فإنّ خيط العنكبوت يُعتبر أقوى الخيوط الطبيعية على الإطلاق، ولذلك يطلق عليه اسم " الفولاذ البيولوجي "، لأنّ المادة المطاطية التي توجد فيه هي التي تكسبه هذه القوة الفولاذية ، حيث أنّ خيوط الحرير المنتَجة قوية جدًّا ومتانتها أشد مِنْ متانة الحديد الصلب وهي قابلة للتمدد لضعفي طولها قبل أنْ تنقطع. وشبكة العنكبوت مِن القوة بمكان حتى إنها تستطيع إيقاف نحلة يزيد حجمها عن حجم العنكبوت مرات عديدة وهي تطير بسرعة فائقة ٣٢ كيلومتر في الساعة بدون أنْ تتأثر أو تتلف أو تتمزق.

ومما سبق يتضح أنّ نسيج العنكبوت يُعَدّ مِنْ أقوى الأنسجة الطبيعية حيث يتصف بالمرونة والصلابة التي تفوق صلابة الحديد الصلب وأنّ بيتَ العنكبوت بمعنى السكن هو بحق مِنْ أقوى بيوت المخلوقات المعروفة إنْ لم يكن أقواها. فهو يستطيع أنْ يقاوم الرياح العاتية ، ويمسك في نسجه فرائس العنكبوت فلا تستطيع منه فكاكًا.

فالآية الكريمة تتحدث عن الذي يلتمسُ وليًّا ينصرُه مِنْ دون اللهِ ، ذاك الوليّ يجب أنْ يكون قويًّا في كثيرٍ مِنْ " خيوطه " بداهة ، وإلّا لمَا التمس فيه القوةَ والقدرةَ على حمايته. ولكن بالرغم مِنْ ذلك فإنّ بيتَ العنكبوت هو أضعفُ وأوهنُ البيوت على الإطلاق ، ليس مِن الناحية البنائية والحِسِّيَّة فحسب ، بل مِن الناحية الاجتماعية والأسرية والمعنوية أيضًا.

الوَهَنُ البنائي والحِسِّي :

القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة تحدث عن **أوهن البيوت** ، ولم يتحدث عن أوهن الخيوط أو الأنسجة. بيتُ العنكبوت هو الأضعف على الإطلاق. فجميع المخلوقات تبني أعشاشها وبيوتها بطريقة ثلاثية الأبعاد ومتينة تتحمّلُ عوامل الطقس إلّا العنكبوت التي تبني بيتها ثنائي الأبعاد أو مسطحًا في العراء وهو معرّض لكل العوامل الطبيعية مِنْ مطرٍ ورياحٍ ورطوبة ، وبالتالي يفقد مرونته بعد يومٍ مِنْ بنائه ، مما تضطر العنكبوت لأكلِهِ مِنْ أجل صناعة خيوطٍ جديدة ، تصوروا العنكبوت تأكل بيتها. وبيت العنكبوت بيتٌ عجيبٌ ، خيوطه المصنوعة مِنْ لعاب لامَسَ الهواءَ فجفّ ، ثمّ ازدان بمادة بروتينية زادته لمعانًا وبريقًا ، فصارَ خيطًا حريريًّا يستهوِي بجمالِ بريقِه الأعين الزائغة ، التي لا ترى إلا ظاهرًا وزخرفًا مِن الحياة الدنيا ، فتنبهر الأبصارُ وتعمَى البصائر.

و**خيوط العنكبوت** إلى جانب لمعانها الأخّاذ ، هي خيوط قوية ومتينة ، شدّتها تفوق شدّة الفولاذ. وهذه القوّة تمكّنُ العنكبوت مِن اصطياد فريستها بعد إيقاعها في شراكها. لكن ، شَدّة الجمال ، وشِدّة الحبال ، لم تُغنِ عن بيت العنكبوت شيئًا ، فهو مع كلّ ذلك يبقَى أوهن البيوت في كلّ الأحوال. فكيف ذلك ؟

الوهن في بيت العنكبوت ، يكمن أوّلا في شكله. فخيوط العنكبوت ، على صلابتها ، متباعدة ، وهذا التباعد بين الخيوط هو منشأ الضعف والسبب الرئيسي في دمار البيوت. لذلك ، فإنّ صلابةَ المواد الأولية لا تكفي لحماية البناء مِن السقوط بالكلية، بل ينبغي أنْ تكون تلك المواد مصفوفة صفّا بلا فُرَجٍ ، حتى يكون البناءُ مرصوصًا فلا يرتجّ.

الإعجاز في لفظ " اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ":

– لأنهُ لو قال اللهُ اتَّخَذَ بيتًا: لكان ذلك خطأً علميًّا لأنّ أنثى العنكبوت هي التي تبني بيتها مِنْ هذه الخيوط الدقيقة التي تفرزها في دقة متناهية (وليس الذكَر).

– ولأنهُ لو قال اللهُ أوهن الخيوط: لكان ذلك خطأً علميًّا لأنّ خيوط العنكبوت أقوى مِن الحديد الصلب ، ولكن بيت العنكبوت هو أضعف وأوهن البيوت.

يجب أنْ نقرّ أنّ الحقائق العلمية لا يمكن أنْ تتعارض مع ما ذُكِرَ في القرآن الكريم (العلم الإلهي)، فإنْ تعارضت ، فإنّ ما أثبته القرآنُ هو الحق وأنّ العِلْمَ البشري قد جانب الحقيقة. وسبحان اللهِ فهذه الحقائق العلمية لم يكن أحدٌ يعلمُ بها زمن نزول القرآن الكريم منذ ألفٍ وأربعمائة وخمسين سنة : {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا. ... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا} (النساء ٨٧ و١٢٢).

الوَهَنُ الاجتماعي أو المعنوي :

لقد كان الناس يعلمون مدى الوهن في البيت الحِسِّيِّ للعنكبوت لكنهم لم يدركوا الوَهَنَ المعنوي إلا في هذا العصر، بعد دراسة طبيعة البيت العنكبوتي مِن الداخل ! وبالتالي جاءت الآية : لو كانوا يعلمون ! المراد بالوَهَن هو التفكك الداخلي بين أفراد الأسرة العنكبوتية ؛ العلاقة بين ذكور العناكب وإناثها وصغارها وهم آل البيت الواحد ، ويسودها الغدر والظلم والقتل

والخداع. هذه الحقيقة العلمية لم تكن معروفة للبشر وقت نزول القرآن الكريم ، فالحقيقة أنّ بيتَ العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت مِنْ أمانٍ واستقرارٍ وسكينة وطمأنينة ، والوَهَنُ يظهر جليًّا في ضعف العلاقات بين الأفراد داخل بيت العنكبوت ، والمبنيّة على المصالح المادية ، وسرعان ما تنهار متأثرة بداء الكراهية. وبالتالي فإنّ بيت العنكبوت ليس فيه أمن ولا أمان ولا قنوت.

– **وَهَنُ الحياة الاجتماعية** : نمط المعيشة للعناكب يغلب عليها المعيشة الفردية والعدائية لبعضها بعضًا ، ولا تعيشُ ضمن مجتمعاتٍ منظمة ، ولهذا كانت الإشارة للعنكبوت بالإفراد لأنها لا تحيا حياةً جماعية. العنكبوت لا تحبّ التعاون ولا التضحية أو الإيثار، ولا تحبّ الخيرَ للآخرين ، بعكس مجتمعات النحل والنمل التي تدافع عن بعضها حتى الموت.

– **وَهَنُ الزواج** : الإناث أكبر حجمًا مِن الذكور، والزوجان مِن العناكب يلتقيان في الغالب وقت التزاوج فقط ، والعنكبوت الأنثى تقتل ذَكَرَها بعد أنْ يلقحها وتأكلُه ، أو تتركُه ليعيش في العش بعد عملية التلقيح ليقوم الأبناء بقتلِه وأكلِه بعد أنْ يخرجوا مِن البيض ، ولهذا يعمدُ الذكَرُ إلى الفرار بجلده. تخيّلوا هذه الحياة الزوجية التعيسة وهذا المصير الأسود للزوج.

– **وَهَنُ الأسرة** : العنكبوت الأنثى هي التي تبني البيت وتغزلُ خيوطَه ، وهي الحاكمة عليه ، وتقتلُ ذَكَرَها بعد أنْ يُلقحها وتأكلُه ، وبعد أنْ يفقسَ البيضُ تتغذى اليرقات على أضعفها (الأبناءُ يأكلون بعضَهم بعضًا بعد الخروج مِن البيض ، فيقتلُ الأخُ أخاه وأخته ، وتقتلُ الأختُ أختَها وأخاها)، حتى تنتهي المعركة ببقاء عددٍ قليلٍ مِن العنيكبات. ثم بعد أنْ يقوَى ويشتدّ عودُ ما تبقَّى مِن الصغار تقومُ بأكلِ أمّها لأنها أصبحت أضعف الموجود. هذا هو بيتُ العنكبوت مِن الداخل ، فلا يخدعنك بريقُ ولمعانُ الخيوط الحريرية ، فإنها تحجب عنك حقيقة العلاقات العدائية. وتغزلُ أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخًّا وكمينًا ومقتلًا لكلّ حشرة ، أي : إنه ليس بيتًا بل مذبحة. ومِنْ هنا فإنّ الضعفَ في بيت العنكبوت هو ضعف الترابط الأسري بين أعضائه.

مما سبق يتضح أنّ البناء الاجتماعي والعلاقات الأُسرية في بيت العنكبوت تتصفُ بأنها مبنية على **مصالح مؤقتة** حتى إذا انتهت هذه المصالح انقلب الأفرادُ أعداءً وقام بعضُهم بقتل بعضٍ ، فهذه أنثى العنكبوت تسمح للذكر بدخول عشها لوجود مصلحة التلقيح حتى إذا قضت إربها منه انقلبت عليه وقامت بقتله وأكله ، وأخرى تقدم زوجَها طعامًا لأولادها ، وفي نوعٍ آخر يأكل الصغارُ أمّهم أول ما تقوَى أعوادُهم. وهذا العداء الشديد الذي يتجلى فقط بعد انقضاء المصالح ، وهذه العلاقات الهشة الضعيفة بين أفراد بيت العناكب يجعلُ هذا البيت بحق أَوْهَنَ بيوت المخلوقات المعروفة. إنّ وَهَنَ بيت العنكبوت وما فيه مِنْ مظاهر التفكك الأسري والعلاقات العدائية القائمة بين أفراده هي نتيجة حتمية لكلّ **علاقة مبنية على المصالح الضيقة الدنيوية المؤقتة** ، فإذا انتفت المصالح ، وانتهت المنافع ، ساءت العلاقة ، وانقلبوا أعداء ، إما في الدنيا أو في الآخرة ، قال تعالى : {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ} (الزخرف ٦٧). كذلك الذين يتخذون مِنْ دون الله أندادًا ، إنما يلجأون إليهم بغرض تحقيق مغنمٍ ماديٍّ نفعيٍّ قائمٍ على علاقةٍ مصلحيةٍ غالبًا ما تنقلب إلى علاقةٍ عدائيةٍ. بيتٌ عجيبٌ مِنْ أسوأ البيوت على الإطلاق.

وإذا نظرنا إلى وجه الشبه في المثل المضروب بين الذين اتخذوا مِنْ دون الله أولياء وأوليائهم ، وبين العنكبوت وبيتها بمعنى المسكن ، نجد أنّ الفرق كبير فالعلاقة بين الذين اتخذوا مِنْ دون الله أولياء وأوليائهم هي علاقة بين أحياء وهي علاقة محبة وصداقة ونصرة وذلك تحقيقًا لمعنى الولاية. أما العلاقة بين العنكبوت وبيتها المادي بمعنى المسكن فهي علاقة بين كائن حيّ وجماد فلا تتحقق الولاية بمعنى الصداقة والنصرة لعدم قدرة الجماد على التدبر والقدرة والفعل.

وتتجلى في هذه الآيات صورة مِنْ صور الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فهذه الحقائق عن بيوت وحياة العناكب لم يتم اكتشافُها إلا حديثًا وهي تصفُ بدقة واقعَ حال بيت العنكبوت على أنه أوهن البيوت حيث أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة قبل أكثر مِنْ ألفٍ وأربعمائة وخمسين سنة.

وعند النظر إلى آخر الآية المذكورة نجد أنها ختمت بقوله تعالى : {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} وهذا يوحِي بأنهم لم يكونوا يعلمون المقصودَ لأنّ هذه الحقيقة العلمية لم تكن معروفة للبشر وقت نزول القرآن الكريم.

وفيما يمكن أنْ يؤخذ على أنه إيحاءٌ آخر على أنّ المقصودَ بالمَثَل يختلف عن المعنى الظاهر ما جاء في الآية التي تلي المَثَل وهي قوله تعالى: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ الْعَالِمُونَ} (العنكبوت ٤٣).

التشابه بين العنكبوت والكفار والعلمانيين والملحدين :

لو تأملنا اليوم دول الغرب وما تعانيه مِنْ تفكك أُسَرِي نتيجة فقدان الروابط الاجتماعية والأسَرية بينهم ، حتى أننا نجد الأب لا يعترف بابنه والإبن ينكر أمّه ، والأبناء يضعون آباءهم في دور للمسنين ، فهو يشبه العلاقات الأُسرية في بيت العنكبوت والتي تتصف بأنها مبنية على مصالح مؤقتة حتى إذا انتهت هذه المصالح انقلب الأفراد أعداء وقام بعضُهم بقتل بعض.

هناك ٣٧٠٠٠ نوع مِن العناكب تعيش على الأرض ، ولايزال العلماءُ عاجزين عن تقليد خيوط العنكبوت ، فالعنكبوت مخلوقٌ لديه هندسة رائعة في التصميم والبناء ، تمامًا مثل الملحدين والعلمانيين الذين اهتموا بالدنيا وأهملوا الآخرة ، فأعطاهم اللهُ الدنيا وحرمَهم مِن الآخرة : {وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (الأنعام ١١٠)، {مَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (الأعراف ١٨٦)، {فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (يونس ١١).

هناك تناقض عجيب بين قوة خيوط العنكبوت ووَهَن وضعف بيته ، كذلك العلماني والملحد تجده متناقضًا في أفكاره : فإذا سألتَه مَنْ خَلَقَ الكونَ ؟ قال المصادفة أو الطبيعة ، وإذا قلت له إنّ هذه السيارة مثلًا وُجِدَتْ بالمصادفة سَخَرَ منك ! فكيف يتقبلُ عقلُه أنّ الكونَ وُجِدَ بالمصادفة وأنّ اختراعاتٍ بشريةً بسيطةً لا يمكنُ أنْ توجد بالمصادفة أو الطبيعة ؟!

العنكبوت يتمتعُ بنظرٍ ضعيفٍ ، فليس لديه بُعد نظر، ولا يرى أكثر مِنْ سنتيمترات معدودة ، تمامًا مثل العلماني والملحد الذي لا يرى إلّا الدنيا وهو عن الآخرة مِن الغافلين.

العناكب مخلوقات شرسة ومفترسة ومعظمها تبث سمومَها لمَنْ يقتربُ منها ، وكذلك العلماني والملحد يبث أفكارَه المضللة والسامّة ليسمم المجتمع ، وليس غريبًا أنْ تجد أعلى نسبة للانتحار في العالم بين صفوفهم.

تكلم اللهُ عن العنكبوت في آيةٍ واحدة مع أنّ سورة العنكبوت تتحدثُ كلها عن الفتن. فالبلاء مقدمة لتمكين أهل الإيمان : {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} (العنكبوت ٢ و٣). إنّ تداخل الفتن يشبه خيوط العنكبوت ، فالفتن متشابكة ومتداخلة ، ولا يستطيعُ المرءُ أنْ يميز بينها ، وهي كثيرة ومعقدة ، ولكنها هشة وضعيفة إذا استعَنَّا باللهِ. والعلمانيون والملحدون هم أساسُ كلِّ الفتن.

وفي النهاية هل العناكب مِن الحشرات الضارة التي يتمنى الإنسانُ زوالها مِن الوجود ؟ أم أنها تعد مِن أصدقاء الإنسان ؟ والجواب : إنّ العناكب مِنْ أصدقاء الإنسان ، رغم أننا لا نحبّ أنْ نراها في بيوتنا ، لكن هناك عبارة تقول : " لولا العناكب لما كان للإنسان مستقر على الأرض "، لأنها تلتهم جميع حشرات البيوت وغيرها ، فهي صديقة للإنسان وليست عدوًّا له.

ربي لا تجعل بيوتَنا كبيتِ العنكبوت وأعنَّا بصلاحنا لوالدينا.

دَآبَّةُ الأرْضِ (الأرَضَة – النَّمْلُ الأبيض [Termites])

دَآبَّةُ الأرْضِ: لأنها تدبّ على الأرض ، هي إحدى الحشرات التي تأكل الخشب ، وتحفر فيه لتتخذ منه مأوى وطعامًا في آنٍ واحدٍ ، ولذلك تُعرف باسم ناقرات الخشب (wood borer) ، ومنها **الأرَضَة** لأنها **تعيش وتختبئ داخل الأرض** ، وسميت **بالنمل الأبيض** لأنّ **لونها أبيض** مع أنها لا تَمُتّ لعائلة النمل بصِلَة ولو أنه يعيش عيشة إجتماعية في مستعمراتٍ شبيهة بمستعمرات النمل ، ومنها **العِتّة** ويرقات **الخنافس** وبعض **سوس** الأشجار ، وقد جمع القرآنُ الكريم ذلك كله في تعبيرٍ علمي دقيق هو **دَآبَّةُ الأرْضِ** ، وهو وصفٌ معجزٌ لأنّ أغلبَ هذه الحشرات تعيش تحت سطح الأرض أو في جذوع الأشجار أو في داخل أخشاب البناء والأثاث مختفية عن الضوء ، لأنها لا تقوى على التعرض طويلًا لأشعة الشمس ، ولذلك نجدها قبل غزو الخشب تتحرك في أنفاقٍ طينيةٍ طويلةٍ .

دَآبَّةُ الأرْضِ رغم كونها حشرة ضعيفة للغاية ، لكنها تمتلك قدرة كبيرة على هدم وانهيار المباني الضخمة وتحطيم الأثاث والمفروشات ، ويمكن أنْ تقضي على قرى ومدن بأكملها ، حيث تتغذى على مادة **السيليولوز** والمتواجدة بكثرة في أثاث المنازل الخشبي والأخشاب والسجاد والموكيت والستائر والأقمشة والملابس والمباني والمنشآت ، لذلك تعتبر هذه الحشرة من الحشرات الخطيرة لأنها تلتهم وتقضي على أساس الأبنية والخشب والأثاث وكل ما هو مصنوع من الخشب ، حيث تلتهم الأرضيات المصنوعة من الخشب (الباركيه) والكتب والورق.

الإعجاز العلمي في دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ :

– مِنْ حكمة الله البالغة أنه بعثَ خاتم أنبيائه ورسله محمد صلّى الله عليه وسلّم في أرضٍ صحراوية يندر فيها النبات والحيوان إلا في بعض الواحات المحدودة ، حتى تبقى آيات الأحياء في القرآن من المعجزات الشاهدة بصدق نبوته ، ومِنْ هذه الآيات قوله تعالى عن **دَآبَّةُ الأرْضِ** أنها كانت تأكل عصا سليمان الخشبية التي كان يتوكأ عليها ، وهذه أول إشارة في تاريخ البشرية إلى حقيقة أنّ مِن الحشرات ما يعيش على أكل الأخشاب وهو سَبْقٌ علمي يشهد للقرآن أنه لا يمكن أنْ يكون صناعة بشرية بل هو كلام الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا **دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ** تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ} (سبأ ١٤)، فلما حكمنا على سليمان بالموت ما دلّ الجنَّ على موته إلا نوعٌ مِن الحشرات آكل للخشب " دابة الأرض " تأكل عصاه وهو متكئ عليها ، لأنّ أجسادَ الأنبياء لا تُبلَى ، فلما سقط وخرَّ سليمانُ على الأرض علمت الإنسُ والجنُّ أنّ الجنَّ لو صح ما يزعمونه مِنْ أنهم يعلمون الغيبَ – كما كان يَدّعِي بعضُهم ويوهمون الناس ذلك – لعلموا بموت سليمان في حينه وهو أمامهم ، ولما أقاموا مدة طويلة – نحوا مِنْ سنة – في الخدمة والعمل الشاق المُذِلّ وهم لا يدرون ظانين أنه حي .

– فهؤلاء هم الجنّ الذين يعبدُهم بعضُ الناسِ ، فهم سُخْرَة لعبدٍ مِنْ عبادِ اللهِ ، وهؤلاء هم محجوبون عن الغيب القريب ، وبعض الناس يطلب عندهم أسرارَ الغيب البعيد ، وهذا تقرير أنّ علمَ الغيبِ للهِ وحده.

– إنّ تاء التأنيث في الفعل " تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ " تدل على أنّ الذي يبدأ النخر في الخشب هي الإناث مِنْ تلك الحشرات الناخرة ، وهو سِبْقٌ علمي آخر لم يكن معروفًا في زمن الوحي ولا لقرون طويلة من بعده.

أهمية الأرَضَة الاقتصادية :

الأرَضَة مِن الحشرات الشديدة الضرر. ولكونها تتغذى بصورة أساسية بمادة **السيليولوز** فهي تعد منافسًا أساسيًّا للإنسان الذي يستعمل الخشب في الكثير من الأغراض. فهي تقوم بإتلاف أخشاب المباني والجسور وعوارض السكك الحديدية وأعمدة الهاتف ، إضافة إلى إتلافها الأثاث الخشبي والأسقف ودعائم الأبنية والأرضيات الخشبية (الباركيه) ، والأبواب والخزائن والشبابيك.

وتقوم الأرَضَة بمهاجمة وقرض المكتبات وإتلاف ما فيها مِنْ كتبٍ وأوراقٍ ومخطوطات ، وتتلف أيضاً مادة الحرير والأقمشة والملابس والعظام والجلود والسجاد والموكيت ، والخشب.

كما تأكل الأرَضَة أيَضًا الحبوب والتمر والذرة المخزنة في المنازل وتقوم بقرضها. بالإضافة إلى مهاجمتها للمحاصيل الزراعية فتقوم بأكل ساقها وجذورها مسببةً جفافها مثل قصب السكر والقطن ، وتهاجم أشجار الغابات وأشجار الفواكه المتنوعة (المشمش والتين واللوز والكرمة والسماق) ، وأشجار النخيل والزيتون ، وغيرها.

أسباب ظهور الأرَضَة (النمل الأبيض) في المنازل :

– عدم **إضاءة** المنزل وعدم تعريضه لأشعة الشمس ، وتركه في الظلام لأوقات طويلة ، لأنّ الحرارة تساعد على التخلص من النمل الأبيض.

– تسرب **الماء** في المنزل مِنْ صنابير المياه في المطبخ أو الحمام وغيرها ، تؤدي إلى ظهوره فيها.

– عدم تعقيم المنزل وعدم المحافظة على **نظافته** أيضًا.

– وجود **فراغات** كثيرة في **جدران المنزل**.

– ترك **أبواب المنازل مفتوحة** لأوقات طويلة يتسبب في دخول النمل الأبيض إليها.

– ترك **فتات الطعام** على الأرض في المنزل ، وخاصة قطع الحلويات والحبوب ، مما يؤدي إلى ظهور النمل الأبيض عليها.

– غلبة **الخشب** على أرضية المنازل (الباركيه) وأثاثها.

طرق القضاء على الأرَضَة (النمل الأبيض) :

الماء : إنّ أبسط طريقة للقضاء على النمل الأبيض هو مسح الأماكن التي يتواجد فيها النمل الأبيض بالماء والصابون ، أو وضع وعاء مفتوح فيه ماء بالقرب من هذه الأماكن مما يؤدي إلى هروب النمل الأبيض.

الخل : ويكون ذلك عن طريق إحضار علبة رش ووضع بعض الخل فيها بالإضافة إلى الماء ، ثم رش الأماكن التي يتواجد فيها أو من الممكن أن يتواجد فيها النمل الأبيض.

البهارات الحادة : مثل **الفلفل** الحاد ، و**القرنفل** ، و**القرفة** ، وذلك عن طريق وضعها بعلبة رش مع إضافة القليل من الماء إليها ، ثم رش الأماكن التي يتواجد فيها أو من الممكن أن يتواجد فيها النمل الأبيض.

الكحول : وذلك عن طريق وضعها في علبة رش أيضًا ، ثم رش الأماكن التي يتواجد فيها أو من الممكن أنْ يتواجد فيها النمل الأبيض.

المبيدات الحشرية الكيمائية : إما عن طريق مبيدات حشرية بشكلٍ عام ، أو عن طريق مبيدات حشرية متخصصة بالقضاء على النمل الأبيض ، يتم إحضارها من الصيدليات المختصة ، مثل حمض اليوريك.

مصيدة الورق المقوى : بما أنّ النمل الأبيض يتغذى على الورق ، لذلك فمن الممكن وضع الورق المقوى بعد تبليلها بالماء ليتجمع عليها النمل الأبيض ، وبعد أن يتجمع تؤخذ الورقة ويتم حرق النمل ، وتكرر هذه العملية عند الحاجة.

الديدان الأسطوانية : وهي عبارة عن طفيليات تقوم باستخدام جسم النمل الأبيض لتستقر فيه وتضع البيوض، لذلك فإن إحضار الديدان الأسطوانية يساعد على التخلص من النمل الأبيض ، وذلك عن طريق إحضارها من الحدائق أو شرائها من المشاتل ، ثم وضعها في التربة ، ويفضل أن يكون ذلك في ساعات الصباح الباكر ، أو عند غياب أشعة الشمس.

أشعة الشمس : يموت النمل الأبيض عند التعرض للضوء والحرارة ، لذلك يمكن التخلص منه عن طريق وضع الأشياء التي يوجد فيها النمل الأبيض ، مثل أثاث المنزل ، أو الأقمشة أو السجاد وغيرها تحت أشعة **الشمس** لمدة تتراوح بين يومين إلى ثلاثة حتى يموت ونتخلص منه.

تجميد النمل الأبيض : إن الحرارة المنخفضة شيئًا كالحرارة المرتفعة جدًا ، تعمل كل منها على القضاء على النمل الأبيض ، لذلك يمكن التخلص منه عن طريق وضع الأشياء التي يوجد فيها النمل الأبيض في مكان ذي حرارة منخفضة جدًا كالثلاجة أو الفريزر مثلًا.

نصائح عامة تساعد في الوقاية من ظهور الأرَضَة (النمل الأبيض) في المنزل :

– لا تترك باب المنزل مفتوحًا.

– أغلق جميع الفجوات الموجودة في جدران المنزل وأبوابها ونوافذها.

– حافظ على نظافة المنزل وعقمه بشكل دائمًا.

– لا تسمح لبقايا الطعام بالبقاء على الأرض في المنزل، بل لابدّ من تنظيفه.

– لا تترك المياه على أرضية المنزل لفترة طويلة، بل لابدّ من تجفيفها، وتأكّد مِنْ عدم وصول الماء للأخشاب.

– أصلح صنابير المياه التي تسرب المياه بشكل دائم.

– قم بدهن المنزل بين فترة وأخرى ، لأنّ مادة البيرميثرين الموجودة في الطلاء تساعد في التخلص منه.

الأرَضَة (النمل الأبيض) والدور الإيجابي :

يظن الكثير من الناس يظن أنّ هذه الدويبة لا همّ لها إلا الهدم ؛ والأمر ليس كذلك ؛ فللأرَضَة دور هام ورسالة عظيمة تؤديها في الطبيعة ومِنْ ذلك ما يلي :

١– فهي من الناحتين البيئية (ecology) والإحيائية (biology) ، تلعب دورًا هامًّا في **تحسين خصوبة التربة الزراعية** وفي دورة المادة العضوية (organic or nutrient cycle)؛ فمِنْ رحمة الله أنْ تتضافر **الأرَضَة** وكائنات أخرى لتتخلص مِنْ أكوام النفايات والمخلفات خاصة تلك التي تشتمل على مواد سليلوزية ، مثل: سعف النخيل والأخشاب المتداعية والكرتون ؛ فهي تحلل هذه المواد التالفة ، وتعيد عناصرها الأساسية إلى التربة مرة أخرى ؛ مما يساعد في تقوية التربة وإثرائها بالمعادن والعناصر المعدنية الهامة وتستطيع النباتات الاستفادة منها.

٢– في أثناء مهاجمة الأرَضَة للمواد السليولوزية داخل التربة من أخشاب وجذور نباتية وجذوع الأشجار تحدث أنفاقًا وممرات وأخاديد وبما تبنيه من أعشاش ؛ ومِنْ ثم تساعد في **تهوية التربة** الزراعية.

٣– تحسن من الخواص ؛ مما يساعد على **التركيبة الميكانيكية للتربة** ، وتيسر **تخلل الماء** داخل التربة.

٤– تفسح المجال لدخول الديدان الإسطوانية والفطريات والبكتريا إلى داخل التربة.

٥– إنّ إفرازات الأرضة ونفاياتها تساهم في **تحسين الخواص الكيميائية للتربة** ، إلى جانب استفادة الأشجار مما تفرزه الأرضة مِنْ مواد وفضلات ومخلفات انسلاخاتها الغنية بالآزوت.

الجَرَادُ (Locust)

الجرادُ جندٌ مِنْ جنودِ اللهِ :

وَرَدَ ذِكْر الجرادِ في القرآن الكريم كجندي مِنْ جنودِ اللهِ تعالى ، أرسله اللهُ على **فرعون** وقومِه وعلى العصاة مِنْ عباده عقابًا لهم ، قال تعالى: {وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَ**الْجَرَادَ** وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} (الأعراف ١٣٢ و١٣٣)، وأرسل اللهُ عليهم الْجَرادَ فأكلَ زروعَهُم وثمارَهُم وأعشابَهُم ، حتى تركَ أرضَهم سوداءَ قاحلةً ومهددًا مصادرَ الغذاء والمعيشة ، ومِنْ هنا كانت تسمية هذه الحشرة الخطيرة باسم الجراد وهو اسم مستمد مِن الفعل جرد بمعنى أزال وكشف وعرّى وقشر. يقال جرد الجرادُ الأرضَ جردًا أي أكل جميع ما عليها مِنْ نباتٍ حتى **تجردت** مِنْ غطائها الأخضر كما يجرد المرء مِنْ ثيابه.

الجرادُ جُندٌ مِنْ جُنودِ اللهِ ضعيفُ الخِلْقَة ، عجيبُ التركيب ، فإذا رأيتَ عساكرَه قد أقبلَتْ ، أبصرتَ جندًا لا مردّ لهم ، ولا يُحصَى منه عددٌ ولا عُدَّة ، فلو جمع الملكُ خيله ، ورجاله ودوابه وسلاحه ليصده عن بلاده لما أمكنه ذلك ، وهذا مِنْ حكمته سبحانه وتعالى أنْ يسلطَ الضعيفَ مِنْ خَلْقِه الذي لا مؤنة له على القويّ ، فينتقمُ به منه ، وينزلُ به ما كان يحذره منه ، حتى لا يستطيع لذلك ردًّا ولا صرفًا.

تِسْعُ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ :

فالآيات والمعجزاتُ التسعة بترتيبها هي : (١) **العصا**: وتحوّلها إلى حية وثعبان وإلتهامُها الحبالَ والعِصيّ وتفجر الماء مِن الحَجَر وتُحَوِّلُ البحرَ إلى طُرُقٍ يابسة ، (٢) **واليد** : {وَأَدْخِلْ **يَدَكَ** فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي **تِسْعِ آيَاتٍ** إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} (النمل ١٢)، (٣) **والأخذُ بِالسِّنِينَ** (القحط والجدب)، (٤) **وَنَقْصٌ مِّنَ الثَّمَرَاتِ**: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ **بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ** لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (الأعراف ١٣٠)، (٥) **الطُّوفَانُ**، (٦) **وَالْجَرَادُ**، (٧) **وَالْقُمَّلُ**، (٨) **وَالضَّفَادِعُ**، (٩) **وَالدَّمُ** : {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ **الطُّوفَانَ** **وَالْجَرَادَ** **وَالْقُمَّلَ** **وَالضَّفَادِعَ** **وَالدَّمَ** آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} (الأعراف ١٣٣)، فأرسلَ اللهُ عليهم سيلًا جارفًا أغرقَ الزروعَ والثمارَ، وأرسلَ الجرادَ ، فأكلَ زروعَهم وثمارَهم وأبوابَهم وسقوفَهم وثيابَهم ، وأرسلَ القُمَّل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات ، وقيل هو نوع الحشرات المعروفة (lice) المسببة للجَرَب وتنقل حُمَّى التيفوس ، وأرسلَ الضفادعَ فملأت آنيتَهم وأطعمتَهم ومضاجعَهم ، وأرسلَ أيضًا الدمَ فصارت أنهارُهم وآبارُهم دمًا ، ولم يجدوا ماءً صالحًا للشرب ، هذه آياتٌ ومعجزاتٌ مِنْ آيات اللهِ لا يقدرُ عليها غيرَه ، مفرقاتٌ بعضُها عن بعضٍ ، ومع كلِّ هذا ترفَّعَ قومُ فِرعَون ، فاستكبروا عن الإيمان باللهِ ، وكانوا قومًا يعملون بما ينهى اللهُ عنه مِن المعاصي والفسق عتوًّا وتمردًا.

والآياتُ المُفَصَّلات هي عجائب ؛ كل منها عجيبة يسلطُها اللهُ على مَن يريدُ إذلالَه ، ويبتلي اللهُ بها نوعًا مِن الناسِ ولا يبتلي بها قومًا آخرين. فماذا كان موقفهم مِن الآيات العجائب ؟ نجد الحق يذيّل الآية : {فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ}، إنهم لم يؤمنوا ، بل تكبروا وأجرموا في حق أنفسهم وقطعوا ما بينهم وبين الإيمان.

عَصَا مُوسَى والحَيَّة والثُّعبان وفِرْعَوْن :

فى اللغة العربية ، هناك فرق بين كلمتى " الحيَّة " و" الثعبان "؛ الحيَّة تطلق على الصغير، بينما يطلق الثعبان على الكبير المخيف. أنظروا دقة البلاغة القرآنية التى أعجزت العالم ، ودقة القرآن الكريم حينما استخدم الكلمتين.

– المَشْهَدُ الأول: **تحوّل العصا إلى حَيَّة** : عندما كان موسَى سائراً بأهله ليلاً ، فأبصرَ ناراً وجاء ليستأنس بها ، فناداه **اللهُ** أنْ يُلقِي عصاه. وتحوَّلَت العصا إلى حيَّةٍ صغيرةٍ. وهذا مناسبٌ لموسَى ، لأنّ المطلوبَ أنْ يرى معجزة وليس المطلوب أنْ يخافَ منها. قال تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ **حَيَّةٌ** تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} (طه ١٧–٢١).

تفسيرٌ آخَر: هناك معنيان لكلمة حية الأول بمعنى أفعى والثاني هو الصفة المؤنثة لكل شيء فيه حياة ، وبهذا المعنى فالحيّ ضد الميت والحيّة ضد الميتة. إنّ العصا بعد أنْ كانت جمادًا لا حياة فيها ، قد دَبَّتْ فيها حياةٌ فأصبحت " **حيَّة** " بمعنى **الحياة** وليس بمعنى الأفعى ، وكانَ مِنْ ظواهر هذه الحياة أنّ العصا أصبحت تتحرك "تسعى"، ويؤيدُ هذا التفسير قوله تعالى: {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا **تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ** وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} (النمل ١٠)، {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا **تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ** وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ} (القَصَص ٣١). الجان هو ضَربٌ مِن الحيات صغير الحجم سريع الحركة ، فقوله تعالى : " **كَأَنَّهَا** " يعني أنها ليست مِنْ صنف الحيات ، ولكن الحركة التي دَبَّتْ في العصا جعلتها تبدو **كَأَنَّهَا** أفعى ، وهاتان الآيتان تصفان هيئة العصا مِنْ وجهة نظر موسَى فَلَمَّا رَآهَا **تَهْتَزُّ** ظنّ أنها أفعى فهرب.

– المَشْهَدُ الثانى: **تحوّل العصا إلى ثعبان** : هذا هو مشهد **مواجهة موسى لفرعون** ؛ عندما ذهب موسَى إلى **فِرعَونَ** ، طلبَ منه فِرعَونُ الدليلَ على صدقِ رسالتِه مِن اللهِ تعالى ، فألقَى موسَى عصاه ، والمطلوب **إخافة فِرعَون** لعلّه يؤمنُ ويستيقنُ بصدقِ موسَى ، فتحوّلَتْ العصا إلى ثعبان حقيقي : {قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ **ثُعْبَانٌ** مُبِينٌ} (الأعراف ١٠٦ و١٠٧) {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ **ثُعْبَانٌ** مُبِينٌ} (الشُّعَرَاءُ ٣٠–٣٢).

– المَشْهَدُ الثالث: **العصا تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** : هذا هو مشهد المباراة الكبرى و**التحدِّي بين موسى وفرعون** ، عندما اجتمع **السَّحَرة** وألقوا حبالَهم وعِصِيَّهم وسحروا أعينَ الناس وأوهموهمَ بأنّ الحبالَ والعِصِيَّ تحولت إلى حيات وثعابين تتحركُ وتسعَى ، فألقَى موسَى عصاه. هنا لا نجد أيّ حديثٍ فى هذا الموقف عن ثعبانٍ أو حية ، فلماذا ؟ لأنه ليس المطلوب أنْ يخافَ الناسُ بالثعبان ، وليس المطلوب أنْ تتحول العصا إلى حيّة ، بل المطلوب معجزة أنْ يُحيِيَ اللهُ الجمادَ " العصا " وتتحركَ العصا نفسُها وتأكل بسرعة (تلقف) وتلتهم وتبتلع في جوفها جميع الحبال والعصِيَ بشكل حقيقى (اللقف أسرع حركة للأكل) ، لإقناع السحرة والناس بأنّ حبالَهم تمثلُ السحرَ والباطل ، وعصا موسى تمثل الحقَّ والصدق ، وجاءت العصا بصيغة المؤنث " تلقف " أي أنها لم تتحول إلى ثعبان (مذكر): {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ **تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**} (الأعراف ١١٥–١١٧)، {قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ **تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**} (الشُّعَرَاءُ ٤٣–٤٥). ولذلك يقول تعالى: {فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ. وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} (الأعراف ١١٨–١٢٢). سبحان الله العظيم على الدقة المعجزة. حقاً لا يمكن إحلال كلمةٍ مكانَ أخرى فى القرآن الكريم : {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فُصِّلَتْ ٤٢).

– المَشْهَدُ الرابع: **العصا تُفَجِّرُ الماءَ مِن الحَجَر**: لقد طلب موسى لقومه السقيا ، فأمره اللهُ أنْ يضربَ بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا بعدد أبناء يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسبون إليه ، وأحفادهم معروفون باسم الأسباط وهم رؤوس قبائل بني إسرائيل ، وكانوا ما يزالون يتبعون النظام القبلي ، الذي تنسب فيه القبيلة إلى رأسها الكبير: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (البقرة ٦٠)، { وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (الأعراف ١٦٠).

– المَشْهَدُ الخامس: **العصا تُحَوِّلُ البحرَ إلى طُرُقٍ يابسة** : هذا هو **المشهد الأخير من المواجهة بين موسَى وقومه ضد فِرْعَوْن وجنوده** ، أوحى اللهُ إلى موسى أنْ يضربَ البحرَ بعصاه فانشقَّ البحرُ وتحوَّلَ إلى إثني عشر طريقًا بعدد قبائل بني إسرائيل ، وكانت كل قطعة منشقة وانفصلت مِن البحر مثل الجبل العظيم في القوة والثبات بحيث لا يسيل منها ماء ، وقَرَّبَ اللهُ فِرعَونَ وجنودَه حتى دخلوا البحرَ ظانين أنه طريقٌ سالكٌ ، وأنقذ اللهُ موسَى وقومَه وأهلكَ فِرْعَوْنَ وجنودَه بالغرقِ في البحر عدا فِرْعَوْن فأنجاه اللهُ بجسده (بلا روح) لا تأكله الأسماك ، ولا يذهب منكرًا مع تيار الماء ، وأُخرج جثته من البحر، ليكون عظةً وعبرةً للناس ولمَنْ كانوا يعبدون فِرْعَوْن ، ولا ينتظرون له مثل هذه النهاية المؤلمة المخزية ، ويرون عاقبة التصدّي لقوة اللهِ ووعيده بالتكذيب ، ولكن كثيراً مِن الناس يغفلون عن البينات الباهرة فى الكون

التى تثبت قدرة الله : {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ. وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ. وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} (الشعراء ٦٣ إلى ٦٧)، {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} (يُونُس ٩٢).

الإعجاز في خَلْق الجرادِ :

والجرادُ حشرات قوية البنية تأكل النباتات وتتكاثر بسرعة وتهاجر أسراباً مئات الكيلومترات فتأكل كل ما يصادفها مِنْ نباتٍ فتصبح المناطق الخضراء جرداء بعد مرورها عليها. لقد خلق الله تعالى على الأرض توازناً حيوياً ، وكلّ شيء بميزان ، فأي اضطراب في هذا الميزان يخلق خللاً ، فمثلاً هناك ما يسمى **بالتوازن الحيوي** الذي ينضبط بعوامل بيئية محددة وأي خَلَلٍ في عامل أو أكثر ينفلت الميزان فتحدث الآفات والأخطار، وقال تعالى: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ} (الرَّحْمَنُ ٧ و٨). وكل هذا بيد الله تعالى ، وإنْ كان يمكن للإنسان التحكم في بعضها لكن بصورة محدودة ، فعندما يغضبُ اللهُ على قومٍ يرسلُ عليهم هذه الأخطار والكوارث فتتسبب في عذابهم وعقابهم ، وهذا ما جرى مع الأقوام التي كذبت رسلَها وكفرت بربها ، وهنا مثل قوم فرعون ، إذ أرسلَ اللهُ عليهم هذه الكوارث التي منها **الجراد** يأكل مزروعاتهم ، و**القُمَّلَ** وهو مِن الحشراتِ المؤذية (lice) التي تتطفل على الإنسان والتي تسبب مرض الجَرِب وتنقل حُمَّى التيفوس. هذا هو عقاب اللهِ ولكن الناسَ في غالب الحال يظنونها أمورًا طبيعية وكوارثَ لا تقف وراءها يدُ اللهِ وقدرته ، فنادرًا ما يتعظون، أو يظنونها خرافات حدثت بما لا يتماشى مع سنة الله تعالى ، أو يهولونها كثيراً كما يفعل بعض المفسرين ، ولهذا جاء تأكيد الله تعالى على هذه الآيات.

الجرادُ هي حشراتٌ مِنْ رتبة الحشرات مستقيمة الأجنحة ، التي تضم ٢٨ عائلة مِن الجراد ، حيث يوجد ما يزيد على ٢٠٠٠٠ نوعٍ مِن الجراد في العالم. وأنّ اللهَ أعطى للجراد القدرة على استخراج غاز الهيدروجين (H_2) من الدهون المختزنة فى جسده وبتفاعله مع الأوكسيجين الجوي (O_2) يتكون **الماء** (H_2O) داخل جسم الجراد بالقدر الذي يحتاج إليه خلال رحلة طيرانه الطويلة دون الحاجة للنزول للأرض للإرتواء ، وذلك لأنه يستهلكُ كمياتٍ كبيرة من الماء أثناء طيرانه لا يكفيه ما يأخذه من النباتات التي يلتقمها بشراهةٍ كبيرةٍ.

أكل الجراد :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه صلّى اللهُ عليه وسلّم قال: " أُحِلَّت لَكُم مَيتَتَانِ ودَمانِ، فأمَّا الميتَتانِ ، فالحوتُ و**الجرادُ** ، وأمَّا الدَّمانِ، فالكبِدُ والطِّحالُ " (أخرجه أحمد ، وابن ماجه)، الحوت هو السمك ، ولعل الحكمةَ مِنْ إباحة أكلِ الجراد مِنْ غير تذكية ، أنه خالٍ مِن الدم المسفوح الذي تحتويه بقية الحيوانات ، ومِنْ ناحية أخرى فإنها مِن الحشرات التي لا تأكل القاذورات أو النجاسات ، لأنها تعيشُ في البراري ، فيكون أكلُها مغايرًا لباقي الحشرات ولخلوِّها مِنْ مسببات المرض ، كما أنها تمثل عوضًا عما يصيب الناسَ مِنْ كوارث بسبب الجراد وبهذا تكون أشبه بالبديل الغذائي الأمثل.

فوائد الجراد :

– يُعْتَبَر الجراد من الأكلات المفضلة لدى بعض الشعوب في قارة آسيا والدول العربية مثل السعودية واليَمَن.

– يعالج الأمراض: الروماتيزم وألم الظهر، وتأخر النمو لدى الأطفال.

– يعمل على تنشيط الجسم ، وذلك لأنّ الجراد يتغذى على أغلب الأشجار والنباتات البرية والنباتات العطرية والطبية ، والتي تحتوي على فوائد صحية عظيمة ، كما أنه يعد مِنْ أكثر المقويات والمنشطات فعالية.

– غني جدًّا بالبروتين ٦٢% ، ويحتوي على دهونٍ بنسبة تتجاوز ١٧% ومواد عضوية بنسبة ٢١% ومنها: المنجنيز، والكالسيوم ، والحديد ، والصوديوم ، والبوتاسيوم ، والفسفور، وغيرها.

أضرارُ الجراد :

– تناول الجراد بعد رشه قد يعرض متناوله للتسمم المُباشر.

– يتسبب **بتدمير المحاصيل الزراعية** وإلحاق خسائر فادحة في قطاع الزراعة والاقتصاد ، ولعابه سمّ قاتل للنبات ، لا يقع على شيء منه إلا أهلكه.

– الجراد يلتهم في الكيلومتر الواحد مِن السِّرب حوالي ١٠٠ ألف طن مِن النباتات الخضراء في اليوم، وهو ما يكفي لغذاء نصف مليون شخص لمدة سنة (الجرادة تأكل ١,٥ – ٣ جرام، والكيلومتر المربع منه يحتوي على ٥٠ مليون جرادة على الأقل).

– وتتغذى حشرات الجراد على الأوراق والأزهار والثمار والبذور وقشور النبات والبراعم وبصفة عامة يصعب تقدير الأضرار التي يسببها الجراد بسبب طبيعة الهجوم العالية، حيث تعتمد الأضرارُ على المدةِ التي سيبقى بها الجرادُ في المنطقة الواحدة وحجمِ الجراد ومرحلةِ المحصول.

طرق مكافحة الجراد :

– رش **المبيدات** الحشرية بواسطة الطائرات والمرشات المختلفة في النقاط الحرجة.

– القضاء على الحشرات حديثة الفقس و**حرقها** في خنادق تحفر خصيصًا لذلك. إنّ المبيدات المستخدمة حالياً مِن الأنواع ذات التأثير القاتل بالملامسة، حيث تقتل الحشرة بمجرد ملامستها لقطرات المبيد بشكل مباشر أو عن طريق ملامسة النباتات المرشوشة أو بابتلاع أوراق النبات المرشوشة.

– استخدام الطريقة **البيولوجية** وذلك باستخدام ميتاريزيم (metarhiziuim)، وهو أحد أنواع **الفطريات**، على شكل زيوت ترش مِن الطائرات تصيب الجدار الخارجي للحشرة، وتخترق تجويف جسم الحشرة فيتسبب الفطر في موت الجرادة خلال ٤ – ١٠ أيام، ومِنْ مميزات هذا الفطر أنه ينتقل مِنْ حشرةٍ إلى أخرى سريعًا، ولا يؤذي النباتات والحيوانات والحشرات الأخرى في المنطقة كما تفعل الطرق الكيماوية.

الْفَرَاشُ الْمَبْثُوثُ والجَرَادُ المُنتَشِرُ

عند **قيام الساعة** يكون حال الناس فيها كحال **الْفَرَاشِ** الذي يسيرُ بشكل فوضوي لا يعرف أين يذهب. أما عند **البعث** فإنهم يتجهون الى ساحة المحشر في **أفواجٍ** بانتظام **كالجرادِ** الذي يسيرُ ضمن ترتيبٍ منظمٍ يعرفُ أين يذهبُ ويتحرك بانضباطٍ شديد تحت قيادة صارمة ، فتتحرك مقدمة السرب قبل مؤخرته باستمرار وتحُطّ قبلها حتى تحدد اتجاه السرب ومواقع الهبوط ولحظات الانطلاق. ويؤكد هذا كله قول الله تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ **أَفْوَاجًا**} (النبأ ١٨)، ما أعظم بلاغة القرآن الكريم وما أروع تصويره للمواقف حتى كأنّك ترى المشهدَ ماثلًا أمامَك.

لم يرد ذِكْر **الفَرَاشِ** (butterfly) وهو جمع فراشة ، في القرآن الكريم إلا في موضعٍ واحدٍ ، حيث قال تعالى: {الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ. يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ **كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ**} (القارعة ١ إلى ٤)، الْقَارِعَةُ مِنْ أسماء يومِ القيامة ، سُمِّيَتْ بذلك ، لأنها تقرعُ الناسَ وتزعجُهم بأهوالِها. وضُرِبَت الفَرَاشُ هنا مثلاً والمقصود أنّ الناسَ يكونون منتشرين كالفراشِ يبحثون عن أسباب الحياة أو يكونون ميتين جرّاء يومِ القيامة وأحداثها.

يقول العلماءُ إنّ عملية تشكيل الألوان في جناحي الفراشة تُعتبرُ عملية فائقة التعقيد ، وهي عملية تتم بنظامٍ ووفق قوانين فيزيائية مُحكَمة ، وتشكّلُ هذه الألوان وسيلة دفاعية للفراشة حيث تظهر بأشكالٍ مختلفة تناسب البيئة التي تعيش فيها. ويعجب العلماءُ مِنْ دقة هذه الصناعة ويتساءلون مَن الذي نظَّمَ هذه العمليات المعقدة؟ ونردّ عليهم بقولِ اللهُ تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (لُقمان ١١).

فراشة بجناحين شفافين ، وهذا يساعدها على إخافة أعدائها ولتحمي نفسها ، لأنّ هذا الشكل الغريب غير مألوف في عالم الحيوان.

وَرَدَ ذِكْر **الجرادِ** (locust) في القرآن الكريم في موضعٍ ثانٍ في قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ **جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ**} (القَمَر ٦ و٧).

إنّ وصفَ **الفراش** و**الجراد** في الآيتين لموقفين مختلفين يوم القيامة :

الموقف الأول في أول البعث (كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) :

في أول بعثتهم يخرج الناس فزعين مِن شدة الهَوْل والرعب لا يهتدون أين يتوجهون ، ويسيرون في كلِّ إتجاه ، حتى يُحشَروا إلى الموقف الثاني ، فهم حينئذٍ **كالفراشِ** المتفرق " **المبثوث** " في حيرته واضطرابه ، ومجيئه وذهابه على غير نظام ، وغير هُدَى ، مع كثرة الاكتظاظ على أرض المحشر وضعفهم وذلهم ، فيدخلُ بعضُهم في بعضٍ ، كقوله تعالى: {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ **يَمُوجُ فِي بَعْضٍ** وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} (الكهف ٩٩). أما وجه تشبيه الناس بالْفَرَاشِ المتفرق هو لأنّ الْفَرَاشَ إذا ثار، لم يتجه لجهة واحدة ؛ بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى **لحيرته** : {إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا. وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ **مَا لَهَا**} (الزلزلة ١ إلى ٣)، فالإنسانُ يتساءلُ مِنْ شدة حيرته وذهوله.

والموقف الثاني يوم الحشر (كالجرادِ المُنتَشِر) :

جاء ذِكْر **الجرادِ** في سياق وصفِ **يومِ الحشر**، وحال الناسِ حينَ يخرجون من الأجداثِ (وليس القبور)، فالأجداثُ هي ذراتٌ متناهيةُ الصِّغَرِ مِنْ خلايا الجَسَدِ ينبتُ منها كلُّ إنسانٍ ماتَ في الحياة الدنيا ، وعند سماع المنادي (قيل أنه إسرافيل)

فيستجيبون له ويقصدونه ، فصاروا **كالجراد المنتشر** وهم في فَزَعٍ عظيم ، وأمرٍ مهيبٍ : {مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} (القمر ٨)، مسرعين لإجابة النداء الذي يدعوهم ويأمرهم بالحضور لموقف القيامة ، فيلبون دعوته، ويسرعون إلى إجابته : {مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} (ابراهيم ٤٣)، أي مسرعين لا يلتفتون إلى شيء مِمَّنْ حولهم ، وقد رفعوا رؤوسَهم إلى السماء في ذُل وخشوعٍ ، وأبصارُهم مفتوحةً مبهوتةً ، لا تتحرك الأجفانُ مِن الخوفِ والفزعِ والجزعِ والهلعِ ، ولا تطرف العينُ مِنْ هَوْلِ ما ترى ، وقلوبُهم خاويةٌ خاليةٌ مِنْ كُلِّ خاطرٍ مِنْ هَوْلِ الموقف ، ويَقُولُ الْكَافِرُونَ الذين قد حضر عذابُهم: {هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} كما قال تعالى : {فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} (المدثر ٩ و١٠)، مفهومٌ ذلك أنه يسيرٌ سهلٌ على المؤمنين. وأما وجه تشبيههم بالجراد فقيل: الكثرة ، والتتابع ووحدة الاتجاه.

القبورُ والأجداثُ وكيفية الخروج :

– ذَكَرَ اللهُ تعالى أماكنَ دفن أجساد البشر في **الحياة الدنيا** باسم " **القبور** "، ولكن عندما وَصَفَ كيفية **البعث** وهو " **الخروج** " يوم القيامة ذَكَرَ أماكنَ الخروج بإسم " **الأجداث** "، ولم يقل القبور، كما هو مُبيَّن في الآيات:

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ **الْأَجْدَاثِ** إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ} (يس ٥١).
{خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ **يَخْرُجُونَ** مِنَ **الْأَجْدَاثِ** كَأَنَّهُمْ **جَرَادٌ** مُّنتَشِرٌ} (القَمَر ٧).
{يَوْمَ **يَخْرُجُونَ** مِنَ **الْأَجْدَاثِ** سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ} (المَعارِج ٤٣).

– نلاحظ بشكل واضح مِن الآيات أنّ **الخروجَ** يومَ القيامة يكونُ مِن **الأجداثِ** وليس مِن القبور. ولكن لماذا ؟ وما هو الفرق ؟

– قال تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ **الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ** والسماواتُ وَبَرَزُوا لِلهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ} (إبراهيم ٤٨). - هذا بالإضافة إلى أنّ الكثيرَ مِن الموتى ليس لهم قبور: أين القبر الذي سيخرج منه ذلك الذي مات غريقاً في بحرٍ أو نهرٍ وأكَلَتْ جسدَه الأسماكُ ؟ أين القبر الذي سيخرج منه ذلك الذي مات في البرية وأكَلَتْ جسدَه الوحوشُ وطيورُ السماء ونَثَرَتْ ترابَ عظامِه رياحُ الصحراء ؟ أين القبر الذي سيخرج منه ذلك الذي مات في مجتمع يَحرقُ أجسادَ موتاه وينثرُ رمادَها في الهواء أو في الأنهار؟

– مِنْ خلال هذه التساؤلات ، نكتشف أنّ الأجداثَ لا تعني القبور. إذاً ما هي " الأجداث " ؟

– لكي نعرف المعنى الحقيقي للأجداث دعونا نتفكر في الآيات التالية : {وَإِذَا **الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ**} (الإنفطار ٤)، {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا **بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ**} (العاديات ٩). يقول اللهُ تعالى في هاتين الآيتين : أنّ القبور التي نراها موجودة حالياً سوف تُبعثَر، بمعنى أنها ستتحطمُ ويتغيرُ أماكنُ وجودِها مِنْ جرّاء تحرك صفائح الأرض وارتجافها وزلزلتها وغيرها مِن التغيرات الجغرافية التي تحدث للأرض عند نهاية أجل كل أمة أو في يوم القيامة.

– إذاً واضحٌ أيضاً مِنْ تلك الآيات: أنّ قبور الدنيا سوف تتلاشى وتبقى " الأجداث " مبعثرة ومختلطة بتراب الأرض أينما وُجدت.

– قال تعالى: {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ} (ق ٤٢). والآن لنبحث في القرآن عن كيفية الخروج مِنْ تلك الأجداث.

– يقول اللهُ تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ. رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ **الْخُرُوجُ**} (ق ٩ إلى ١١). سبحان الله العظيم. لاحظ جملة " كذلك الخروج " في هذه الآية. واضحٌ مِن الآية أنّ كيفية الخروج مِن الأجداث هي كما تنبتُ الجناتُ وحبوبُ المحصود الذي يُحصَد عند نضجه وغيرها مِن النباتات عندما ينزلُ عليها الماءُ مِن السماء. ونحن نعلم أنّ الأرضَ مليئةٌ بذرات صغيرة جدًّا مِن البذور التي تنبت منها الأشجارُ عندما يهطلُ المطرُ عليها. إذاً فالأجداث هي ذراتٌ متناهية الصغَر مِنْ خلايا الجسد ينبتُ منها كلُّ إنسانٍ ماتَ في الحياة الدنيا ، وحيثما كانت تلك الذرة ينبتُها اللهُ وينسلُ منها جسدَ المبعوثَ. قال الله تعالى: {وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا} (نوح ١٧ و١٨).

عَجْبُ الذَّنَب :

– ويؤكد هذا قول النبي صلّى اللهُ عليه وسلّم عن أبي هريرة : " إنّ في الإنسانِ عظمًا لا تأكُلُهُ الأرضُ أبدًا ، فيه يُرَكَّبُ يومَ القيامةِ ، قالوا أيُّ عظمٍ هو ؟ يا رسولَ اللهِ ، قالَ: **عَجْبُ الذَّنَب** "، (رواه مسلم ٢٩٥٥). **عَجْبُ الذَّنَب** وهو لا يُرَى بالعين

المجردة ويُرَى بالمجاهر الألكترونية فقط، هو في نهاية العمود الفقري (نهاية العُصعُص)، وهو يحمل الشفرة الوراثية (جميع المعلومات عن هذا الإنسان) ، حيث في البعث ، يُنزِلُ اللهُ مطرًا من السماء فيُنبِتَ كلَّ فردٍ مِنْ **عَجْبِ ذَّنَبِه**.

– وقد حاول مجموعة من العلماء إفناءَ **عَجْبِ الذَّنَب** ، عن طريق إذابته في أقوي الأحماض أو حرقه أو سحقه أو تعريضه للأشعة المختلفة، فلم يستطيعوا ذلك.

– هذه **الحقيقة العلمية** لم يتوصل إليها العلمُ الحديث إلا في السنوات الأخيرة ، وهو ما يؤكد صدق نبوة المصطفى صلّى اللهُ عليه وسلّم ، وتلقيه ذلك عن الخالق سبحانه وتعالى ، الذي يعلم مَنْ خَلَقَ وهو اللطيف الخبير، أظهرها اللهُ في هذا العصر، **إعجازًا** وتحديًا لكلّ جاحدٍ ومكذبٍ ، وذلك مصداقًا لقوله تعالى : {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فُصِّلَتْ ٥٣).

القمل (lice)

الْقُمَّلَ هو نوع مِن الحشرات الصغيرة طولها حوالى ٣ مم وتعيش على جسم الإنسان وتتغذى على دمه وتصيبُه **بالجَرَب** في الرأس والعانة وجلد الجسم (scabies)، مما يسببُ الكثيرَ مِن الحكّة والهرش ، وينقلُ القملُ أيضًا **حمى التيفوس**.

والْقُمَّلَ كغيره مِن المخلوقات هو جندٌ مِنْ جنودِ اللهِ ، يسلطُه على مَنْ يشاء مِنْ عباده ، عقابًا للظالمين مِن الكفرة والمشركين، والغلاة المفسدين في الأرض ، والمتجبرين على الخلق ، وابتلاء الصالحين واختبارًا لصبرهم ورضائهم بقضاء الله وقدره ، واعتبارًا للناجين الذين رأوا ذلك رأي العين ولكن لم يصبهم مِنْ أذاه شيء.

وَرَدَ ذِكْر الْقُمَّلَ في القرآن الكريم كجندي مِنْ جنودِ اللهِ تعالى ، أرسله اللهُ على **فرعون** وقومِه وعلى العصاة مِنْ عباده عقابًا لهم ، قال تعالى: {وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَ**الْقُمَّلَ** وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ} (الأعراف ١٣٢ و١٣٣).

بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا (mosquito)

لقد استهان الناسُ عبرَ الأجيالِ بالبعوضة لضآلتها وصِغَرِ حجمِها ، فاستنكرَ عليهم القرآنُ استهانتَهم بها في تعبيرٍ معجزٍ بليغٍ، واتخذَها مثلًا يُتَحَدَّى به قبل أنْ يُعرَفَ دورُها في نقل الأمراض ، بل وقبل اكتشاف الكائنات الأخرى التي تشاركها الخطورة بما تسببه مِنْ أمراض.

إنّ اللهَ ذكرَ آلهةَ المشركين فقال: {وإن يَسْلبهُمُ **الذُّبَابُ** شَيئًا} (الحَجّ ٧٣)، وذكر كيد آلهةَ المشركين فجعله كبيت **العنكبوت**: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ **الْعَنكَبُوتِ** اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} (الْعَنكَبُوت ٤١)، فقال اليهودُ والمشركون: ما بال العنكبوت والذباب يُذكَران؟! فنزل قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا **بَعُوضَةً** فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} (البَقَرَة ٢٦)، ولفظ البعوض من البعض لصغر جسمه. إنَّ اللهَ تعالى لا يستحْيِي ولا يخشَى مِن الحقِّ أنْ يضربَ أو يَذكُرَ مَثَلًا أو شيئًا ما ، قلَّ أو كَثُرَ، أي مَثَلٍ كان ، بأي شيءٍ كان ، صغيرًا كان أو كبيرًا ، ومِنْ هذه الأشياء البعوضة ، هذا المخلوق الضعيف العجيب ، الصغير في حجمه ، العظيم في خَلْقِه. لما ضربَ اللهُ مثلًا في البعوضة تعجَّبَ الكافرون وقالوا كيف يليق بخالق الكون أنْ يضربَ مثلاً بحشرة صغيرة ؟!: {مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا}، فردَّ اللهُ عليهم أنه تعالى يضربُ الأمثالَ للناس للحكمة وإيضاح الحق ، وتمييز المؤمن مِن الكافر، وحتَى يبيِّن لهم ويوضِّح الأمرَ الإلهي المقصود للدنيا وأهلها: إذ البعوضة تحيا ما جاعت ، فإذا سمنت وامتلأت هلكت وماتت. وكذلك مَثَّل هؤلاء القوم الكافرين والفاسقين وأهل الدنيا إذا امتلأوا مِن الدنيا ريًّا كان سببًا لهلاكهم وأخَذَهُم اللهُ تعالى عند ذلك: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} أي: الخارجين عن طاعة اللهِ ؛ المعاندين لرسلِ اللهِ. أما الكافرون فيعترضون ويتحيرون ، فيزدادون كفرًا إلى كفرهم ، كما ازداد المؤمنون إيمانًا على إيمانهم.

ويستفاد مِنْ هذا المَثَل أنه لا حياءَ في العلم ، فينبغي لمَنْ عُرِضَتْ له مسألة أنْ يَسأل عنها ، ولا يمتنع مِن السؤال حياءً مِنْ ذِكْرِها ، فإنّ ذلك ليس بحياءٍ حقيقي ، لأنّ الحياءَ خيرٌ كله ولا يأتي إلا بخير، والإمساكَ عن السؤال في هذه الحالِ ليس بخيرٍ، بل هو شرٌّ. فكيف يكون حياءً ؟

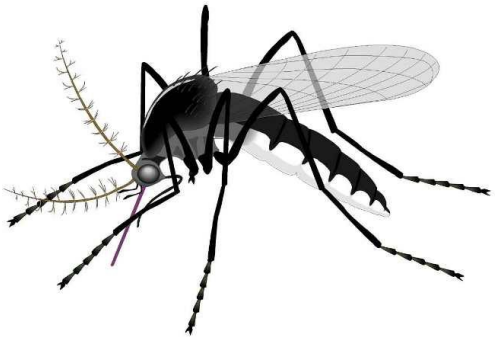

ولأنَّ اللهَ تعالى خالقُ المخلوقات كلِّها فله أنْ يضربَ مثلًا بما شاءَ مِنْ مخلوقاته مهما صَغُرَ أو كَبُرَ هذا المَثَل ، حتى لو كانت بعوضة: المخلوق الصغير، وحتى لو كانت ما فوق البعوضة: المخلوق الأصغر والذي لا يُرَى بالعين المجردة.

الإعجاز العلمي في كلمتي : " فَمَا فَوْقَهَا ":

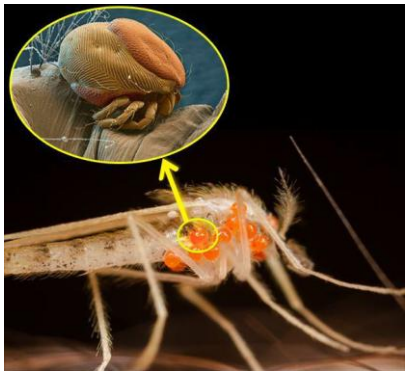

فقد اكتشف العلمُ الحديثُ وجودَ بعض الكائنات الحية الدقيقة التي لا تُرى بالعينِ المجردة تعيشُ فوق البعوضة وهي أصغرُ منها حجمًا ، وهذه الكائنات تتطفَّل على البعوضة في غذائها ، ولم تكن معروفة مِنْ قبلُ أبدًا ، وإنَّما اكتشافها كان مؤخرًا مع تطور العلم الحديث ، ولكنَّ كتابَ اللهِ تعالى كان له السبقُ في الإشارة إلى هذه الكائنات: {بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}، وهذا ما يؤكد على عظمة هذا الكتاب وصدقِ رسالة الإسلام التي جاء بها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

" فَمَا فَوْقَهَا " تستطيع أنْ تحتوى أقوالَ كلِّ المفسرين سواءً المخلوقات الأدنى مِن البعوضة فى الحجم أو الأكبر أو الأعظم منها فى الخَلْق ، أو بمعنى المخلوقات التى فوق جسم البعوضة نفسها. حيث ترتبط البعوضة مع كثيرٍ مِن الكائنات الأكبر أو الأصغر منها بعلاقات متميزة أهَّلَتْها للتواجد على الأرض منذ أكثر مِنْ ١٥٠ مليون سنة.

إذا أخذنا معنى كلمتى " فَمَا فَوْقَهَا " بأنه **ما أدناها فى الحجم** أو **ما أصغر منها** ، فلقد وُجِدَ أنّ البعوضة ترتبطُ بعلاقاتٍ معقدةٍ مع الكائنات التى أصغر منها والتى تعيشُ داخل معدة البعوضة مثل: البكتيريا ، الفطريات ، الفيروسات ، والأوليات. وُجِدَ أنّ بعض هذه الكائنات مفيدةٌ وضروريةٌ لحياة البعوضة ، وبعضها ضارٌّ بها. تساعدُ البكتيريا الموجودة فى معدة البعوضة فى تصنيع مضادات للفيروسات التى تهاجم البعوضة. إنّ السبب فى قدرة البعوضة على نقلِ الأمراض تكمن فى سرّ " فَمَا فَوْقَهَا " أى ما أصغر منها مِنْ كائنات ، وهى البكتيريا التى تعيشُ فى معدة البعوضة. إنّ هذه البكتريا تدافع عن البعوضة ضد المسببات المرضية المختلفة التى تدخل مع وجبة الدم التى تأخذها مِنْ إنسانٍ أو حيوانٍ مصاب بالمرض. تحاول البكتيريا قتلَ المسببات المرضية ولكن إذا نجحت تلك المسببات فى القضاء على البكتريا المتعايشة مع البعوضة أو إضعافها، فإنّ تلك المسببات تتكاثر فى العدد وتسبب الأمراض. إنّ هذه الكائنات " فَمَا فَوْقَهَا " تحمى البعوضة والشئ المعجز أنها تحمى الإنسانَ أيضاً عن طريق قتل المسببات المرضية التى تنتقل إليه إذا تغذت البعوضة على دمه.

أما إذا أخذنا معنى " فَمَا فَوْقَهَا " على أنه **ما فوق جسم البعوضة** ، فلقد وُجِدَت كائناتٌ دقيقةٌ أصغرُ مِن البعوضة تعيشُ فوق جسمِها مِن الخارج ، تفترس البعوضة وتقتلها مثل: الحلم والفطريات. ويؤيد هذا القول ، لهوان البعوضة وأنه لا شأن لها ، حديثٌ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ " (رواه الترمذي)، وإني لأعجب كيف يَقتتِلُ العالمُ كلُّه على الدنيا والتي لا تساوي عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ. فالبعوضة لا شأن لها ، وجناح البعوضة مِنْ بابٍ أولَى لا يكون له شأن.

إذا أخذنا معنى " فَمَا فَوْقَهَا " بأنه **ما أكبر منها فى الحجم** ، ويؤيد هذا القول ما رواه مسلِم عن عائشة أنَّ رسولَ اللهِ قال : " ما مِنْ مسلمٍ يُشاكُ شوكة فما فوقَها إلا كُتِبَ له بها درجةٌ ومُحِيَتْ عنه بها خطيئةٌ ". فإننا سنجدُ أنَّ البعوضة ترتبط بعلاقاتٍ معقدة مع الكائنات الأكبر منها وخاصة الإنسان والحيوان. فلقد وُجِدَ أنّ البعوضةَ تصيبُ الإنسانَ والحيوانَ بالعديد من الأمراض. ولكن كلّ المسببات المرضية التى تسبب هذه الأمراض تقع تحت التفسير الأول لمعنى بعوضة " فَمَا فَوْقَهَا " أى الكائنات الأصغر منها والتى سبق ذكرها. أيضاً نجد أنّ البعوضة ترتبط مع معظم أفراد المملكة الحيوانية بعلاقات كثيرة ، مثل الاسماك ، الزواحف ، البرمائيات والثدييات.

ولقد عبَّر القرآنُ الكريم عن كلِّ تلك العلاقات سواءً التى بين الكائنات الأكبر مِن البعوضة أو الكائنات الأصغر منها (المسببات المرضية) فى تعبيرٍ معجزٍ : " بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ".

ونكايةً في قولِ الكافرين : {مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا}، ومصداقًا لعلم اللهِ ، فقد اكتشف علماءُ الأحياء حديثًا أنَّ هذا المخلوق الصغير " البعوضة " يتمتعُ بصفاتٍ لا يمكن أنْ يتصورها عقلٌ ، {هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (لقمان ١١). وهذه بعض المعلومات عن البعوضة :

الإعجاز في خَلْق البعوضة :

نحن نشاهد في حياتنا البشرية أنه مثلا عندما اخترع الإنسانُ الهاتفَ المحمول ، كان حجمُه ضخمًا ، وكلما تقدمت الحضارة وارتقى الإنسانُ في صناعته وحضارته وتقدمه ، أصبح الحجمُ دقيقًا وصغيرًا ، وفي كل الصناعات عندما ترتقي ، يصغر حجمها لأنّ ذلك محتاج إلى صناعة ماهر وإلى تقدم علمي ، وهكذا حينما ضرب اللهُ مثلا بالبعوضة وما فوقها ، أي: بما هو أقل منها حجمًا ، فإنه تبارك وتعالى أراد أنْ يلفتنا إلى دقة الخَلْق ، فكلما لطف الشيء وصغر حجمه احتاج إلى دقة الخلق :

١– البعوضة الأنثى هي الأخطر وهي التي تنقل الأمراضَ للإنسان والحيوان ، وهي مصاصة للدماء حيث تتغذى على الدم لأنه ضروري بما يحتويه مِنْ هيموجلوبين غني بالبروتينات لنضج البيوض ، لذلك ذَكَرَ اللهُ كلمةَ : " بَعُوضَةً " بالمؤنث ، وكذلك الضمير المؤنث في كلمة " فَوْقَهَا "، في حين أنّ الذَّكَرَ يتغذى على عصارة النباتات ورحيق الأزهار.

٢– عين البعوضة – في رأسها – تتركب مِنْ آلاف العدسات التي تعمل بتناسقٍ ودقة كبيرة لتؤمّن رؤية عالية للبعوضة تتفوق بها على البشر.

٣– لها في فمها ٤٨ سن.

٤– لها ثلاث قلوب في جوفها بكل أقسامها.

٥– لها ستة سكاكين في خرطومها ولكل واحدة وظيفتها.

٦– لها ثلاث أجنحة في كل طرف. يهتز جناح البعوض بمقدار ٣٠٠ إلى ٦٠٠ إهتزازة في الثانية ، وهذا هو سبب صوت الطنين الذي تصدره وتسمعه عند اقترابها منك !

٧– مُزَوَّدَةٌ بجهاز حراري يعملُ مثل نظام الأشعة تحت الحمراء ، وظيفته : يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه ، مثل أنظمة الرؤيا الليلية التي يستعملها الجنود.

٨– مُزَوَّدَةٌ بجهاز تخديرٍ موضعي يساعدها على غرز إبرتها وخرطومها دون أنْ يحسَّ الإنسانُ ، وما يحسُّ به كالقرصة هو نتيجة مَصّ الدم.

٩– مُزَوَّدَةٌ بجهاز تحليل دم لاختيار ضحاياها ، فهي لا تستسيغ كل الدماء ، قد يعجبها دم هذا النائم ، ولا يعجبها دم أخيه ، فتعكف على الأول ، وتترك الثاني.

١٠– مُزَوَّدَةٌ بجهازٍ ضد لزوجة الدم ، لتمييع الدم ومنع تخثره (anticoagulation) حتى يسري في خرطومها الدقيق جدًّا.

١١– مُزَوَّدَةٌ بجهازٍ للشم تستطيع مِنْ خلاله شمّ رائحة عَرَق الإنسان مِنْ مسافة تصل إلى ٦٠ كم.

١٢– تستطيعُ البعوضةُ الوصولَ لعوائلها عن طريقِ شعيراتٍ حسِّيَّةٍ دقيقةٍ توجَد على أرجلِها ورأسِها.

١٣– ينتمى البعوضُ إلى رتبة الحشرات ذات الجناحين ، التى تشتمل على ٣٠٠٠ نوع مِن البعوض.

١٤– تنقلُ البعوضةُ العديدَ مِن الأمراض الخطيرة للإنسان خاصة فى إفريقيا ، مثل: المَلاريا ، الفيلاريا (داء الفيل)، إلتهاب الدماغ (encephalitis)، الإلتهاب السحائي (meningitis)، حُمَّى غرب النيل ، حُمَّى الوادى المتصدع (rift valley fever)، الحُمَّى الصفراء. وتتسبب هذه الأمراض في مقتل حوالي ٢ مليون شخص سنويًّا ، فهذه البعوضة هي جندي مِنْ جنودِ اللهِ ، وكذلك ما تحملُه مِنْ طُفَيليات كلُّها مُسَخَّرةٌ بأمرِ ربِّها يسَلِّطُها على مَنْ يشاءُ مِنْ عباده.

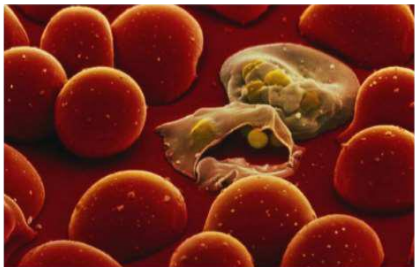

طفيليات الملاريا باللون الأصفر تدمر خلايا الدم الحمراء. كل طفيلي يمكن أنْ يتكاثر إلى ٤٠٠٠٠ طفيلي جديد، دون أي ممانعة من الكبد أو من الجهاز المناعي للإنسان.

هذه بعوضة بطنها مليئ بالدم، لقد امتصت كمية كبيرة من الدم وهو ضروري لإنتاج البيوض، ولذلك فلديها قدرة هائلة على شم الروائح وتحسس الحرارة والأشعة غير المرئية وتحديد الهدف من مسافات بعيدة، والانقضاض عليه بسهولة.

صورة لبعوضة وهي تمتص الدم من أجل تغذية بيوضها بالهيموجلوبين الغني بالبروتينات.

صورة إلكترونية للبعوضة الأنثى وهي التي تهاجم الإنسان ، توضح التصميم الخارق لرأس البعوضة حيث العيون تغطي معظم الوجه (لها عيون متعددة)، ولولا ذلك لن تتمكن البعوضة من المناورة والرؤيا الصحيحة.

إنّ هذه الأعمال كلها التي تقومُ بها البعوضة تضعنا أمامَ أسئلةٍ كثيرةٍ منها :

١– كيف تعرفُ البعوضةُ بوجودِ هذا الإنزيم الذي يُخثِّرُ الدمَ ؟

٢– كي تُبطِلَ البعوضةُ مفعولَ إنزيم التخثّر، كيف تستطيع أنْ تصنعَ مثل هذا الإنزيم المضاد داخل جسمها ثم تقوم بنقله بواسطة تقنيتها إلى جسم الإنسان؟

٣– كيف حصلت البعوضةُ على هذه المعلومات؟ بالرغم أنها لا تملكُ عقلاً مُدرِكًا ولا معلومات حول الكيمياء ولا مختبر لتصنيع هذه الإنزيمات، ولا يزيد طولها عن بضع ملليمترات. الجواب أنّ الله الذي خَلَقَ الإنسانَ، خَلَقَ هذه البعوضة، وأودعَ كلَّ هذه الأجهزة المعقدة فيها: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} (طه ٥٠)، {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (الجاثية ٤)، {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا. .. مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} (هود ٦ و٥٦)، إنّ الله الذي تعهَّدَ برزق هذه الحشرات، أيعجز وهو القادرُ على كلِّ شيءٍ، أنْ يرزقَ مؤمنًا يوحِّدُ الله؟!

البعوضةُ تُهلِكُ النمرودَ وجيوشَه:

وقد تكون الحكمة مِنْ خَلْقِ اللهِ لبعض الحشرات هو إذلالُ الطغاةِ والجبابرة والملوك، فالبعوضة على ضآلتها التي جعلت الناسَ يستهينون بها (قبل اكتشاف خطرها) قد أمدّها اللهُ بإمكاناتٍ بحيث لا تُغالَب ولا يمتنع منها أحدٌ حتى لو كان أعظم الجبابرة، ودمّرت البعوضُ جيوشَ النمرود وامتصت دماءهم ولم يبق منهم إلا عظامهم، أما النمرودَ بن كنعان نفسه الذى حَاجَّ نبيَّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ وادّعَى أنه يُحْيِي وَيُمِيتُ: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (البَقَرَة ٢٥٨)، فقد أذلَّه اللهُ وعذبه بأنْ سلَّطَ عليه حشرةً صغيرةً "بعوضة" تسومُه سوءَ العذاب: دَخَلَتْ مِنْ أنفِه إلى دماغِه، فمكثَ هذا الملكُ الطاغيةُ الجبارُ ٤٠٠ سنة يُضرَب بالمطارِق والنِّعالِ على رأسه حتى تهدأ البعوضة، وهذا جزاءُ مَن ادَّعَى الألوهية، فكانت نهايتُه أنْ عذبه اللهُ بحشرة "بعوضة" حتى هلكَ ومات. قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} (المُدَّثِّر ٣١)، {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (الْحَجِّ ١٨)، **أى مَنْ أرادَ اللهُ إهانته فلن يُكْرَمَهُ أىّ مخلوقٍ على وجْهِ الأرْض، لا بنصرته ولا بالشفاعة له، فلا كرامة إلا بإكرام اللهِ، ولا عزة إلا بعزة اللهِ، لأنّ الأمورَ كلّها بيدهِ سبحانه وتعالى.**

لماذا لا تنقل البعوضة فيروس نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)؟

لأنّ هذا الفيروس يحتاج إلى عائلٍ أو مضيفٍ مثل كرات الدم البيضاء أو الخلايا الليمفاوية التائية (T cells)، وعندما تمتص البعوضةُ دماءَ مريض الإيدز، فإنَّ الدماءَ الملوثة بالفيروس لا يُكتَب لها الحياة داخل أمعاء البعوضة، لعدم وجود تلك الخلايا المضيفة، فيموت الفيروس قبل أنْ تنقلَه البعوضة مِنْ مريضٍ لآخَر. ولكن في حالة طفيل الملاريا فإنها تنمو وتتكاثر داخل أمعاء البعوض دون الحاجة إلى عائل.

للوقاية من الأمراض التي تنقلها، ينبغي مكافحة البعوضة:

– زراعة **أشجار النِّيم** لما فيها مِنْ مواد مؤثرة كالسالانين (salanin).

– الشبكات الواقية (الناموسيات).

– **ردم البرك** والمستنقعات أو تربية الأسماك التي تتغذى على أطوار البعوض في الماء مثل أسماك الجامبوزيا (gambosia) وجابي (guppy).

– **مصائد البعوض** وهذه أسلم كثيرًا من المبيدات الحشرية.

الذباب

سُمِّيَ ذُباب لأنه كثير الحركة ، كلما **ذُبَّ** (دُفِعَ وطُرِدَ وذَهَبَ) **آبَ** (عادَ ورجَعَ).

يعتبر الذبابُ (musca, fly) مِن المخلوقات التي وضع اللهُ تعالى في خَلْقِه الكثيرَ مِن العجائب العلمية ، ومِنْ أكثرها إذهالاً هي وضْعُ اللهِ تعالى الداءَ في إحدى جناحيّ الذباب والدواء والشفاء في الجناح الآخَر.

ومن حيث الانتشار على الأرض تأتي الحشرات في المركز الأول بين مختلف مجموعات الحياة ، ويأتي الذباب في المرتبة الثالثة بعد كل مِن النمل والبعوض.

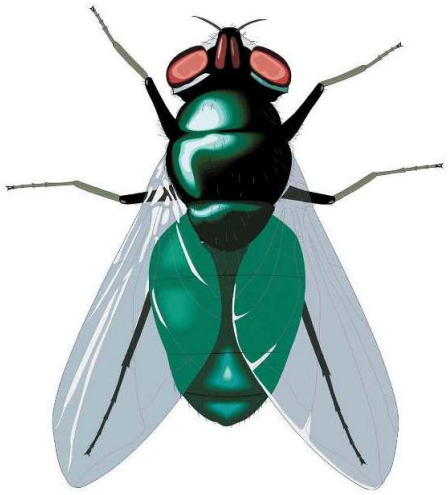

يتنقل الذبابُ فوق الفضلات ويتقيّأ على الأماكن التي يطأ عليها ، وبذلك ينقلُ الكثيرَ مِن الأمراض للإنسان ؛ الكوليرا ، والجياردیا ، والدوسنتاريا ، والجذام ، والتيفود ، والسالمونيلا ، وإلتهاب الملتحمة ، والالتهاب الكبدي الوبائي وغيرها.

الذباب هذا المخلوق العجيب الغريب الضعيف الصغير التافه المستقذر، والذي يتكاثر بسرعة جنونية ، كان يأنفُ العربُ مِنْ ذِكْرِه إلا أنّ اللهَ ذَكَرَه في القرآنِ كمثالٍ ضَرَبَه للناس: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا **ذُبَابًا** وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ **الذُّبَابُ** شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (الحَجّ ٧٣).

الاستلاب في اللغة هو الاختلاس ، والسلب هو نزع الشيء مِن الغير على القهر.

الاستنقاذ مبالغة في الإنقاذ ؛ مثل الاستحياء والاستجابة ، وهو تخليصُ ما أُخِذَ عنْوَةً ، واسترجاعُه واسترداده مِن الآخذ بأيِّ وسيلة كانت.

هذه الآية تؤكد وجود معجزة في خلق الذباب. ولكن المشركين لا يؤمنون بالمعجزات ، ولذلك انتقدوا النبي صلّى اللهُ عليه وسلّم بسبب ذِكْرِ بعض أنواع الحشرات في القرآن مثل النمل والبعوض والعنكبوت ، فأنزلَ اللهُ هذه الآية ليتحدى هؤلاء العلمانيين الملحدين والكافرين ، وليعجزهم عن صنع ذبابة ، ولكن هيهات أنْ يصنعوا خلية واحدة مِنْ خلايا الذبابة التي تعد بالملايين.

هذا المَثَلُ في القرآن قد ضربه اللهُ تعالى ؛ ليبين أنه لا يقاس المخلوق بالخالق ويجعل له نِدًّا ومِثْلاً ، وهو بذلك يضع قاعدة عامة ، ويقرر حقيقة ثابتة : أنّ هذه الأصنام والأوثانِ وما في حكمها مِنْ أشخاصٍ وطغاةٍ وشياطين ، وقيمٍ وأوضاعٍ ، مما تُسَمُّونَها آلهة تستنصرون بها وتستعينون بقوتها ، طالبين منها النصر والجاه والحماية ، في كل زمان ومكان ، لَن تستطيع أبدًا خَلْقَ شيءٍ مهما كان تافهًا حقيرًا كالذباب ، وإنْ تضافروا جميعًا في محاولة خَلْقِه ، بل إنّ هذا المخلوقَ التافه "الذباب" لو اختلس وأخذ شيئًا مِمَّنْ تعبدون مِنْ دونِ اللهِ لا يستطيعون بحالٍ مِن الأحوال أنْ يمنعوه أو يستردوه منه ، وما أضعف الذي تعبدونه ويُهزَمُ أمام الذباب عن استرداد ما أُخِذَ منه ، وما أضعف نفسُ الذباب ، كلاهما شديد الضعف ، بل الأصنام وما شابهها كما ترون أشدّ ضعفًا ، فكيف يليقُ بإنسانٍ عاقل أنْ يعبدها ويلتمس النفع منها ؟!: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} (النحل ٢٠).

ولهذا قيل بصيغة الماضي المبني للمجهول: {ضُرِبَ مَثَلٌ} وذلك لتقريب زَمن الماضي وأنْ يكون المثَلُ تشبيهًا تمثيليًا ، أي أوضح اللهُ تمثيلًا يوضح حالَ الأصنام في فرط العجز عن إيجاد أضعف المخلوقات ، كما هو مشاهد لكلّ أحد ؛ كقوله تعالى: {وَقُضِيَ الأَمْرُ} (البقرة ٢١٠، هود ٤٤).

وقوله تعالى: {لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا} جاءت بنفي المستقبل فلم يقُلْ مثلاً: لم يخلقوا، فالنفي هنا للتأبيد ، فهم ما استطاعوا في الماضي ، ولن يستطيعوا أيضاً فيما بعد.

لقد استوحى الإنسانُ معظمَ اختراعاته مِنْ عالم الحيوان ، والحقيقة اختراع الطائرة لم يكن سوى محاكاة للطيور، واختراع الطائرات الحربية لم يكن سوى محاكاة للحشرات خاصة الذباب. فهذا المخلوق الضعيف الذي يشمئز الناس منه يستطيع أنْ يناور مناورة لا تستطيع أعظم الطائرات الحربية وأحدثها أن تفعل فعلها ، إنّ الذبابةَ تسيرُ بسرعة فائقة بالنسبة إلى حجمها ، وتستطيع أنْ تنتقل فجأة إلى زاوية قائمة ، وتستطيع أن تنتقل من سقف إلى سقف ، وهذا شيء لا تستطيع طائرة في الأرض أن تفعله. كبِّرَتْ عينُ الذبابة مئات المرات ، فكان مِنْ هذا التكبير العجب العجاب ، آلاف العدسات المرصوصة بعضها إلى جانب بعض تحقق للذبابةِ رؤية كاملة لا تتوفر في أعظم الطائرات.

قد تقول: إنّ عملية الخَلْق هذه عملية صعبة لا يُتحدَّى بها ، لذلك تحداهم اللهُ بما هو أسهل مِن الخَلْق : {**وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ**} ، وهل يستطيع أحدٌ أنْ يُعيدَ ما أخذه الذبابُ مِنْ طعامه على جناحيه أو رجله أو خرطومه ؟!

والظاهر أنّ الذُّبَابَ ، وإنْ كان كذلك ، فإنه لم يوضع في هذا المثَل في موضع تحقير له ، وموضع تصغير؛ لأنّ المرادَ ليس تحقيره ، وإنما المراد تحقير الذين يُدْعَوْنَ مِنْ دونِ اللهِ تعالى ، وتحقير مَنْ يَدعُونهم ، ويلتمسون النفع والخير عندهم ، وبيان ضعفهم وعجزهم عن خلْق ذُبَابٍ واحد رَغْمَ اجتماعهم له ، فكيف إذا لم يتجمعوا فهم أعجز، وعن استرجاع ما أخذه الذُّبَابُ مِنْ أشياءٍ رغم تفاهتها.

خُصَّ الذباب هنا بالذكر، دون غيره من الحشرات ، لأربعة أمور تَخُصُّه : لمهانته وضعفه ، ولاستقذاره وكثرته.

وتنكير لفظ " ذباب " في قوله تعالى: {لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا} للإفراد. أي: لن يخلقوا ذبابًا واحدًا. ويدلك على ذلك أنك إذا قلت: لم أرَ إنسانًا ، أفاد نفيُ رؤية واحد معين.

هذه الآية فيها إشارة إلى ذَمّ الغالين في أولياء الله تعالى ، حيث يستغيثون بهم في الشدة ، وينذرون لهم النذور، غافلين عن اللهِ جل وعلا ؛ فهؤلاء الذين يدعونهم آلهة لا يقدرون على خلق ذبابٍ واحد ، على صغر حجمه وحقارة شأنه ؛ لأنهم محرومون من القوة ، قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} (الحَجّ ٧١). فأخبر سبحانه عن هؤلاء الذين يعبدون مِنْ دون اللهِ ما لم ينزل به مِنْ سلطان إنما يعبدون آلهة مِن الأصنام والأوثان ، ومِنْ شياطين الإنس والجن ، لا حول لهم ولا قوة ، وهم لا يعبدونها عن عِلمٍ ولا دليل يقتنعون به ؛ إنما هو الوهم والخرافة ، وما لهم مِنْ نصيرٍ يلجأون إليه ، وقد حُرِمُوا مِنْ نصرة الله العزيز القدير.

وهكذا يؤكد القرآنُ الكريم هذه **الحقيقة العلمية** التي لم يكن للناس أي عِلْمٍ بها قبل العصر الحديث ، وهي أنّ الإنسان يعجز عن استعادة شيء سلبه الذباب منه.

حيث أثبت العلمُ أنّ حركة الذبابة المنزلية على درجة عاليةٍ جدًّا مِن التعقيد ، فقد زوَّدَها اللهُ الخالق بالقدرة على المراوغة والمناورة أثناء الطيران بالحركات الأمامية والخلفية ؛ حيث تستطيع تغيير مواقعها بدقةٍ وإحكامٍ فائقين مما يعينها على إصابة هدفها وتجنب المخاطر بكفاءة عالية ، والانقضاض على الطعام والشراب ، فتحمل منه بواسطة كلٍّ مِنْ فمها والزغب الكثيف المتداخل الذي يغطي جسمها ما تحمل ، ثم تهرب مبتعدة في عملية استلاب حقيقية بمعنييها : الاختلاس ، أو نزع الشيء على القهر.

ومِنْ ناحيةٍ ثانيةٍ حتى لو تمَكّنَ الإنسانُ مِن الإمساكِ بالذبابة التي سَلَبَت شيئًا مِنْ طعامِه أو شرابِه ، فإنه يظلّ عاجزًا عن استخلاص ما سلبته الذبابة منه ؛ وذلك لأنّ الذبابَ عندما يَحُطّ على شيءٍ مِن الطعام ، فإنْ كان سائلاً سَلَبَ قطرة منه ، وامتصها ، ويحولها إلى جهازه الدوري ومنه إلى مختلف خلاياه ، وإنْ كان مادة صلبة – قطعة بطيخ مثلاً – صبُ عليها لعابه ، وإنزيمات معدته وعصائرها الهاضمة فيفككها فورًا ويذيبها ويحوِّلها بالتحلل إلى مواد بسيطة التركيب وذلك مِنْ أجل امتصاصها ، فالذباب لا يملك جهاز هضمي معقد لذلك يلجأ إلى الهضم الخارجي ؛ أي يهضم الطعام في مكانه قبل أنْ يمتصه بخرطومه ، فهو لا يمتصه إلا متحولاً مهضومًا متغيرًا ، ويوصِّله مهضومًا إلى جهازه الدوري ، ثم إلى مختلف خلايا جسم الذبابة ؛ حيث يتحول جزءٌ مِنْ هذا الطعام إلى طاقة تمكنها مِن الطيران ، ويتحول جزءٌ آخر إلى مكونات الخلايا والأنسجة ، وإلى عددٍ مِن المركبات العضوية التي يستخدمها الجسم ، ويتحول الباقي إلى فضلات تتخلص منها الذبابة ، ولا

سبيل أبدًا إلى استرجاع أي مِنْ ذلك ؛ حيث تعجز كل وسائل العلم وأجهزته عن استرداده أو الاستفادة منه أو إعادته لما كان عليه ؛ لأنه قد صار مهضوم طعام ذباب ، وليس طعامًا ، ولم يعد جزيئة مِنْ سكر أو زعفران أو عسل أو دقيق أو غير ذلك ، فأين قطعة البطيخ ؟ وما السبيل إلى استرجاعها ، ومَنْ يستطيع أنْ يجمع الأجزاء التي تبددت في طاقة طيران الذباب والأجزاء التي تحولت إلى أنسجة.

ومِنْ ناحيةٍ ثالثةٍ فقد أثبت العلمُ أنّ الذبابَ بالإضافة لما يسببه مِنْ مضايقات للإنسان والحيوان فإنه ينقلُ أمراضًا خطيرةً عديدةً للإنسان ، ويسلبه قوتَه وصحتَه ، وربما حياته أيضًا ، ومِن الأمراض التي ينقلُها للإنسان: النزلات المعوية ، والتسمم الغذائي ، والدوسنتاريا ، والكوليرا ، والجيارديا ، والجذام ، والتيفود ، والسالمونيلا ، والسل المعوي ، وإلتهاب الملتحمة ، والرمد الصديدي ، وشلل الأطفال ، والالتهاب الكبدي الوبائي (viral A hepatitis) وغيرها الكثير، ونقل بيض بعض الديدان والطفيليات (الأسكارس)، والعديد مِن الأمراض التي لم يكن الإنسانُ يعلمُ عنها شيئًا إلا مع بداية النهضة العلمية والتقدم التكنولوجي الهائل ؛ مما يثبت إعجاز القرآن الكريم ، وأنّ منزِّله عز وجل لم يختص الذبابَ عبثًا بهذه الحقائق ، بل هو خالق كلِّ شيءٍ والعليم بكل شيءٍ سبحانه وتعالى.

ثم ختمَ اللهُ عز وجل ذلك المَثَلَ المصورَ الموحي بهذا التعقيب الموجز: {ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}؛ ليقرر ما ألقاه المَثَلُ مِنْ ظلالٍ في النفوس ، وما أوحى به مِنْ مشاعر إلى القلوب ، فسوَّى سبحانه بين الداعي والمدعو في الضعف والعجز؛ فالطالب هو الداعي ، والمطلوب هو المدعو ، إشارة إلى قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ} فهو عاجزٌ متعلقٌ بعاجز. وقيل: هو تسوية بين السالب ، والمسلوب في الضعف والعجز، إشارة إلى قوله تعالى: {وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ}.

هذا هو الذُّبَابُ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ جل وعلا، {فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (لقمان ١١)، {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ} (النحل ١٧)، ونتذكر قوله تبارك وتعالى: {صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} (النمل ١٨٨).

مفادُ ما سبق أنّ القرآنَ يتفقُ مع العلم الحديث ، وليس كما يَدَّعِي المشككون أنه لا يتفقُ مع العلم والمنطق والعقل والمألوف ، فتراهم يلجأون إلى الآياتِ والأحاديثِ النبوية التي يصعبُ تفسيرُها في ظلّ المعرفة المتوافرة والتي لا نستطيع أنْ نستوعبها في الوقت الحالي لأنّ عقلَ الإنسان محدودٌ ومقيدٌ بزمانٍ ومكانٍ معين ، بينما كلامُ اللهِ ورسوله هو الحق ، فيقولون إنّ القرآنَ يعرضُ الأساطيرَ والخرافاتِ ، ولذلك فقد عَلِمَ اللهُ تعالى بأمثالِ هؤلاء وحدثنا عنهم قبل ١٤٥٠ سنة : {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (الفرقان ٥)، {إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (الأنعام ٢٥، المؤمنون ٨٣، النمل ٦٨)، {وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (النحل ٢٤)، {فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأحقاف ١٧)، {إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (القلم ١٥، المطففين ١٣).

يجب أنْ نقرّ أنّ الحقائق العلمية لا يمكن أنْ تتعارض مع ما ذُكِرَ في القرآن الكريم (العِلْمِ الإلهي)، أو في الأحاديث النبويّة الصحيحة: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (النجم ٣ و٤)، فإنْ تعارضت ، فلا شكّ أنّ ما أثبته القرآنُ هو الحق وأنّ العِلْمَ البشري قد جانب الحقيقة: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (آل عِمران ٧). وسبحانَ اللهِ فهذه الحقائق العلمية لم يكن أحدٌ يعلمُ بها زمن نزول القرآن الكريم منذ ألفٍ وأربعمائة وخمسين سنة : {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا} (النساء ٨٧ و١٢٢).

الذباب به مضاد حيوي ومواد تقوّي جهاز المناعة :

قديمًا كلُّ الناسِ كانوا يَرَوْنَ الذبابَ حشرةً صغيرةً لا تضرّ أحدًا ، لكنّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم أخبرَنا أنّ فيه داءً وشفاءً ، في قوله عن أبي هريرة : " إذا وقع الذبابُ في شرابِ أحدِكم فلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزعه ، فإنّ في أحدِ جناحيه داءً وفي الآخرِ شفاءً " (رواه البخاري). وبعد اكتشاف المِجْهَر (الميكروسكوب) والجراثيم اكتشفوا الداء ، والآن وبعد فترة اكتشفوا الدواءَ والشفاء ، أتدرون أينَ الدواء والشفاء ؟! في جناح الذبابة الآخر، أليس في هذا إعجاز قوي ؟ أليس هذا دليلاً على صدقِ النبي صلّى اللهُ عليه وسلّم وصدقِ رسالته؟

أثبتَ العلماءُ بما لا يقبلُ الشكّ أنّ أحدَ جناحي الذباب يحوي البكتيريا والجراثيم وأنّ الجناحَ الآخَر يحوي مضادات حيوية طبيعية لقتل البكتيريا والميكروبات العنيدة ، وملتقم البكتيريا " بكتريوفاج " ومواد تقوّي جهاز المناعة ، أي فيه شفاء ، ولذلك فإنّ الذبابة لا تتأثّر ولا تُصاب بالأمراضِ التي تحملها ! وهذا أمْرٌ منطقيّ لأنّ الذبابة تحملُ على جسدها الخارجي الكثيرَ مِن البكتيريا الضارة ، ولذلك ولكي تستمر في حياتها ينبغي أنْ تحملَ أيضًا مواد مضادة للبكتريا ، وهذه المواد زوّدَها اللهُ بها ليقيها مِن الأمراض.

لقد ضرب اللهُ للناس الذبابة مثلا ، هذا المخلوق الضعيف المستقذر، الذي يتكاثر بسرعة جنونية ، والذي يبدو ضعيفًا ، لو أنك رششت مكانا موبوءًا بالذباب ، وقضيت على كل الذباب إلا ذبابة واحدة ، لأنتجت هذه الذبابة جيلًا من الذباب يقاوم هذه المادة التي رششتها في هذا المكان ، فتصنيع المضادات الحيوية عند الذباب شيء معجز، فأي شيء يقضي على الذباب تصنع الذبابة في أجهزتها الدقيقة مضادا حيويا يكسبها مناعة ضد هذه المادة الفعالة ، حتى إن الذباب إذا مات في البرد ينجب جيلا يقاوم البرد . وإنّ أفضل طريقة لاستخلاص المضاد الحيوي مِن الذبابة تكون بغمسها في السائل ، وهذه اكتشافات حديثة حيرت الباحثين ولم تكن متوقعة أبدًا أنْ يجدوا الداءَ والدواءَ في نفس المخلوق وهو الذباب !

والسؤال : أليس هذا مطابقًا لما أخبرنا به الرسولُ صلّى اللهُ عليه وسلّم ، منذ ألفٍ وأربعمائةٍ وخمسين عامٍ قبلَ أنْ يكتشفه العلماءُ في عصرنا الحالي ؟

إذن نحن أمام العديد مِن الحقائق العلمية والتي يمكن الاستفادة منها :

١– الحديثُ الشريفُ يذكرُ حالةً معينة ، وهي سقوط الذباب في إناء ، ويذكر أنه لا ضرر مِنْ أكل ذلك الطعام أو شرب الشراب بعد غمس الذبابة فيه وإخراجها منه ، وعلَّلَ ذلك بأسبابٍ أثبتت الدراساتُ العلمية الحديثة صحتها.

٢– أن الذباب ناقلٌ للأمراض ، فنتحرز منه ما أمكن.

٣– أحد جناحي الذباب فيه داء وأنه يحمل فيه الجراثيم والميكروبات. وأنه حينما ينزل في طعام أو شراب فإنه يضع جناحَه الحامل للمرض ، كما في رواية الإمام أحمد : "... فإنه يُقَدِّمُ السُّمَّ ويُؤَخِّرُ الشفاءَ ".

٤– الجناح الآخر للذباب فيه دواء وشفاء ؛ يقضي على المرض الناتج عن جناحه الذي به الداء والناقل للمرض ، حيث يحوي مضادات حيوية تقتل الجراثيم والبكتيريا ، ومواد تقوِّي جهاز المناعة.

٥– أنّ ضرر الذباب إنما يُتَّقَى ويُتَجَنَّب بغمسه في الإناء الذي وقع فيه : نجد أنّ حرف الفاء في " فليغمسه " يفيد السرعة ، لذلك فأمْرُ الرسول صلّى اللهُ عليه وسلّم بغمس الذباب بسرعة لأنّ الذبابَ يتعلق على سطح السائل لوجود التوتر السطحي ، ولأنّ المواد المضادة للبكتيريا تتركز على السطح الخارجي لجسدِ الذبابة وجناحِها. ويتضحُ ذلك في ميكانيكية إفراز المادة الفعالة (الدواء) حيث أنّ إفرازَ أنواعِ البكتيريا النافعة والفطريات لهذه المواد لا يتم إلا في وجود وسط ، وهو هنا الطعام أو الشراب الموجود داخل الاناء. حيث يسمحُ هذا الوسط لأنْ يتقابلَ كلٌّ مِن الداء والدواء وجهًا لوجهٍ بدونِ عوائق ويتمّ الالتحام ، وعند ذلك تقوم الكائنات المفيدة بالقضاء على الكائنات الضارة. ولقد وُجِدَ أنّ المُضادَّ الحيويّ والذي يقتلُ البكتيريا لا يتحرر مِن الخلايا الفطرية إلا إذا امتصت السائل ، وعند ذلك فإنه بواسطة خاصية الضغط الأسموزي تنتفخ ثمّ تتفجر وتطلق محتوياتها التي تعتبر كالقنابل ، وتقوم بالقضاء على البكتيريا الضارة. ولوحظ أنّ هذه القنابل تقذف لمسافة ٢ مم داخل السائل وهي مسافة تعتبر عظيمة بالنسبة لحجم الكائنات الدقيقة.

٦– ضرورة نزع الذبابة مِن السائل لأنّ الهدف مِنْ غمسها هو إخراج المضادات الحيوية الموجودة فيها. وكلمة "ثُمَّ لينزعه" بعد الغمس تفيدُ التراخي والبطء وتعطي فرصةً للأنواع المفيدة مِن البكتريا والفطريات لكي تفرزَ المضاد الحيوي ومواد الدواء و" الشفاء " لكي تقضي على البكتيريا الضارة " الداء ".

٧– في الحديث دعوة نبوية شريفة بعدم إهدار الطعام الذي وقع فيه الذباب ، خاصة للفقراء ، يكفي أنْ نغمسه ليقوم هذا الذبابُ بتحرير المواد المضادة للجراثيم.

وإنّ المرء ليعجب مِنْ دقة التعبير النبوي الشريف ، حيث حدد لنا وجود الشفاء في جناح الذبابة ، وحدد لنا أسلوب استخلاص هذا الشفاء أي كيفية الحصول على المضادات الحيوية مِنْ خلال سرعة غمس الذبابة في السائل ، والتراخي في نزع الذبابة ، وذلك حرصًا على صحة الآكل والشارب ، وحفاظاً على الطعام والشراب مِن التلف. وهذه المعلومة لم تُكتشف إلا منذ سنوات قليلة فقط. وهذا الحديث يشهد على صدق نبينا عليه الصلاة والسلام ، وفيه ردّ على كلِّ مَنْ يدّعِي أنّ أحاديثَ المصطفى مليئةٌ بالأساطير؛ إذ أنّ كلَّ كلمةٍ نَطَقَ بها هي الحق مِنْ عند اللهِ تعالى.

ولكنّ بعد تعجّب وسخرية كثيرٍ مِن العلمانيين الملحدين والكافرين مِنْ هذا الحديث ؛ مدَّعين أنه مناقضٌ للعقل ، يأباه الطبع ، مخالفٌ للعِلْمِ وحقائقه ، ويتساءلون : كيف تصدقون أيها المسلمون أنّ الذبابَ الذي يحملُ الجراثيم والأمراضَ فيه دواءٌ وشفاءٌ؟ وكيف يجمعُ اللهُ الداءَ والدواءَ في شيءٍ واحدٍ ؟ وهل الذبابُ يعقِلُ حتى يُقَدِّمُ أحدَ الجناحين على الآخَر ؟! وكيف تغمسون الذبابَ إذا وقع في سائلٍ ما ، ثم تشربون مِنْ هذا السائل ؟ إنّ هذا التصرف غير منطقي ولا يمكن لإنسانٍ عاقلٍ أنْ يقومَ به ! نجدُ علماءهم اليوم يكررون كلامَ النبي وهم لا يشعرون ! قال تعالى: {وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

سَبِيلًا} (النساء ١٤١)، ولن تجد طريقًا أو حجّة لكافرٍ على مؤمن ، المؤمنُ هو الأعلى وهو المتفوق بشرط أنْ نكون مؤمنين حقًّا: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (آل عِمران ١٣٩).

وإننا نتساءل: ألسنا نستعمل البنسلين ومشتقاته إذا مرضنا ، مع أنه مصنوعٌ مِن العَفَن ؟! ألم نتداوَ بالستربتومايسين ، مع أنه مصنوعٌ مِنْ طفيليات العفن وجراثيم المقابر ؟!

ومما ينبغي أنْ يُتَنَبَّه له حتى لا يبقى هناك مجالٌ للمشككين في الحديث ، أنّ الأمرَ في قوله : " فليغمسه "، وفي: "ثم ليطرحه"، إنما هو للإرشاد والتعليم وليس على سبيل الوجوب ، فالنبيّ – صلّى اللهُ عليه وسلّم – لم يأمر مَنْ وقعت ذبابةٌ في طعامه أو شرابه بعد الغمس والإخراج أنْ يستمر في الطعام والشراب ، وإنما أرشدَ مَنْ أراد أنْ يأكل مِنْ هذا الطعام أو الشراب الذي وقعت فيه الذبابةُ أنْ يغمسها فيه ، وأمّا مَنْ لا يريدُ الأكلَ أو الشربَ بأنْ تعافَ نفسُه منظرَ الذبابِ إذا وقع في إنائه مِن الطعام أو الشراب واشمأز مِنْ ذلك فلم يجبره ولم يلزمه الاستمرار على تناول ما فيه ، فله أنْ يأكله أو يشربه ، وله أنْ يتركه ، والشيء قد يكون حلالاً ولكن تعافَه النفسُ ، ولا إثمَ عليه في ذلك ولا حَرَج ؛ ولا يكون بذلك مخالفًا لأمرِ النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم ، إذ أنّ الحديثَ لا يتعلقُ بأيّ أصلٍ مِنْ أصول الدين: {لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} (البقرة ٢٨٦).

إن أحاديثَ رسولِ اللهِ صلُّى اللهُ عليه وسلّم لم تُوَجَّه لطبقةٍ مِن الناسِ دون غيرها ، ولكنها تخاطبُ الناسَ جميعًا على اختلاف مستوياتِهم العلمية والفكرية والاجتماعية ، والفقراء منهم والأغنياء ، وكذلك تخاطبُ الناسَ في كلِّ العصور، كلُّ عصرٍ يفهمُ مِن الحديث النبوي الشريف على قدر فَهْمِهِ وتَقَدُّمِ العِلمِ فيه.

ولعلّ هذا الحديث الشريف يهتمُّ بالفقراء مِن الناس الذين لا تجد الأسرةُ منهم طعامًا إلا إناء واحدًا فيه طعام ، أو إناء واحدًا فيه شراب ، وكل أعضاء الأسرة يجتمعون إلى هذا الإناء ويأكلون أو يشربون ما فيه ، وليس لديهم غيره ، فإذا وقعت ذبابة في هذا الإناء أو ذاك ، وأخرجوها منه ، وعافتها نفوسُهم ، ولم يأكلوا منها ، فسوف تبيت الأسرة كلها جائعة ، ولن تجد بيتًا مِنْ بيوتهم خاليًا مِن الذباب ، ومعنى هذا حدوث مجاعة في هذه الطبقة مِن الناس ، فلا مناصَ أمامَهم مِنْ تناولِ طعامهم وشرابهم الذي ليس لديهم غيره ، إذا سقطت فيه ذبابة وأغمسوها وأخرجوها منه.

إن كثيرًا مِن الناس في البيئات الفقيرة يُخرِجون الذباب مِن الشرابِ والطعامِ إذا سقط فيه ولا يغمسونه ، ثم يشربون منه ويأكلون ولا يرون في ذلك حرجًا ، ولا تعافه نفوسُهم ؛ لأنهم لم يحصلوا على هذا الشراب أو الطعام إلا بعد الكدّ والتعب والعرق ، لذلك فالرسول الكريم صلّى اللهُ عليه وسلّم يعلِّمُنا ويرشدُنا أننا يجبُ المحافظة على صحة هؤلاء الناسِ بضرورة أنْ يغمسوا الذبابة التي سقطت في الإناء – والذي قد لا يملكون غيرَه – حتى يبطلوا مفعولَ أي ميكروباتٍ ضارة بالمواد التي تقتل تلك الميكروبات والموجودة بالجناح الآخَر للذبابة ، ونحن لا ندري أي الجناحين فيه الداء أو الشفاء ، فلنغمس الذبابة كلها ، وهذا درسٌ كبيرٌ في الطبِّ الوقائي والذي يجبُ أنْ يسبقَ الطبَّ العلاجي.

والحديث النبوي لم يَدْعُ أحدًا إلى صيدِ الذباب ووضعِه عنوةً في الإناء ، ولم يشجِّع على الإهمالِ في نظافةِ وتطهير البيوتِ والشوارع والطرقات ، ولا يتعارض مع الحماية مِنْ أخطار انتشار الذباب ومقاومته بأية صورة ، فالإسلامُ دينٌ النظافة بكلِّ ما تحملُه هذه الكلمة مِنْ معانٍ ، ودينُ الوقاية مِن الأمراض والشرور.

والحديث النبوي لم يشجِّع على تركِ الآنية مكشوفةً وعدم حماية الطعام والشراب. قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم: "خَمِّرُوا الْآنِيَةَ (يعني غطُّوها)، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ (يعني اربطوا أفواهها حتى لا يتقذر الماء ، أو تدخل فيه بعض الحشرات الضارة)، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ (أغلقوها)، وَاكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ (إمنعوهم) عِنْدَ العِشَاءِ ..." (رواه البخاري). فها هو النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم يرشدنا إلى صيانة أطعمتنا ، وصيانة أوعية مياهنا ، والمحافظة على أولادنا الصغار من ظلمة الليل ، وما عسى ينالهم في الظلمة من أذى أو شر.

ولكننا إذا أخذنا آخر الحديث : " فإنّ في أحد جناحيه داءً وفي الآخَر شفاءً "، فإننا نجدُ رسولَنا الكريم يلفتُ نظرَنا إلى أنّ لكلِّ داءٍ دواءً ، ويدعونا إلى البحث ، والتوجه إلى دراسة الذباب ، لمعرفة ما هو الداء الذي يوجد على أحدِ جناحي الذباب ، وأيضًا الى معرفة الدواء أو الشفاء الذي يوجد على الجناح الآخر؛ وذلك لكي يتوصلَ علماءُ المسلمين إلى الأدوية التي تعالج الأمراضَ التي ينقلُها الذبابُ للإنسان.

وبدراسة الحديث نجد أنه يتضمن علومَ الفيزياء ، الكيمياء ، الطب ، الصيدلة ، الميكروبيولوجيا ، الحشرات ، وغيرها ، بالإضافة إلى علوم الدين واللغة.

إنّ البحث العلمي أثبت أنّ المضاد الحيوي المعزول مِن جناح الذباب يستطيع أنْ يقضي على كثيرٍ مِن المسببات المرضية الأخرى غير المتواجدة على الذباب. إنّ الحديث الشريف يفتحُ المجالَ لاكتشاف عشراتِ المضادات الحيوية مِن الذباب ،

خاصةً إذا عرفنا أنّ هناك ١٠٠٠٠٠ نوعًا مِن الذباب منتشرة في جميع أنحاء العالم. وأنّ الكائنات الدقيقة المتواجدة على الذباب تعكسُ البيئةَ التي يعيشُ فيها الذبابُ. أي أنّ الأمراضَ التي ينقلُها الذبابُ في منطقةٍ ما ، تختلفُ عن تلك التي ينقلُها الذبابُ في منطقةٍ أخري. أي أننا نستطيعُ أنْ نحصل على علاجٍ أو دواءٍ لكل الأمراضِ التي ينقلُها الذبابُ في مناطق العالم المختلفة ، حيث أنّ الداءَ والدواءَ متلازمان في جناحي الذباب ، والأحرى أنْ يتمَّ اكتشافُ تلك المضادات الحيوية بواسطة علماء المسلمين.

ويبدو إننا قريبًا سوف نشهد علاجًا فعالاً لكثيرٍ مِن الأمراض مستخرجًا مِن الذباب ! وأنّ العلاج بالذباب هو أمر مقبول علميًّا في المستقبل القريب ؛ حيث اكتشفَ أحدُ الباحثين في لعاب الذبابة بروتين يمكنه أنْ يسرِّع التئام الجروح والتشققات الجلدية المزمنة. واكتشفَ باحثون في جامعة ستانفورد مادة في الذباب يمكنها تقوية الجهاز المناعي للإنسان.

فوائد الذباب :

ولكن الله لم يخلق شيئًا إلا ووجد له فوائد وأضرار، ومِنْ فوائد الذباب :

– القضاء على بعض الآفات الحشرية الضارة.

– تنقية الهواء.

– القضاء على النبات المتفسخ.

– احتواء يرقات الذباب على مواد علاجية تساهم في التئام الجروح في جسم الإنسان.

– إحتواء الذبابة على مضادات حيوية على أحد أجنحتها.

– إحتواء الذبابة على مواد تنشط الجهاز المناعي.

– نقل حبوب اللقاح الخاصة بالنباتات.

المَنّ (aphid, manna)

المَنّ حشرة صغيرة تتواجد فوق جذوع بعض الأشجار، وتقوم بإفراز مادة صمغية يطلق عليها الصمغ العربي ، وقد تم ذكرها في القرآن ثلاث مرات :

١– {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ **الْمَنَّ** وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (البقرة ٥٧).

٢– {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ **الْمَنَّ** وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (الأعراف ١٦٠).

٣– {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ **الْمَنَّ** وَالسَّلْوَى} (طه ٨٠).

ومِنْ فضلِ اللهِ على بني إسرائيل أنّ اللهَ جعلَ السحابَ يظلهم مِنْ أشعة الشمس الحارقة وهم في التيه لمدة ٤٠ سنة فى سيناء، وأنزل عليهم المَنَّ ، وهو مادة حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشجر مِنْ طلوع الشمس ، أنعمَ اللهُ بها عليهم مِنْ غير مجهودٍ منهم ، كما أنزل عليهم السلوى وهو الطائر المعروف بالسِّمَّان ولحمه مِنْ أطيب اللحوم ، فهو يأتيهم بأسرابه بكرةً وعشيًّا ليأكلوا ويتمتعوا ، وبهذا توافر لهم الطعام الجيد والغذاء المتكامل ، والمقام المريح ، وأحلت لهم هذه الطيبات. ولكنْ أتراهم شكروا واهتدوا ؟ إنّ التعقيب الأخير في الآية {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} يوحِي بأنهم ظلموا وجحدوا ، وإنْ كانت عاقبة ذلك عليهم ، فما ظلموا إلا أنفسهم !

وهناك أعدادٌ كبيرة مِن الحشرات التي تتغذى على العصارات الغذائية للنباتات ، ومنها حشرة المَنّ (aphid) التي تقوم بإفراز ما يزيد عن حاجتها مِنْ تلك العصارات على هيئة سائل شمعي أو صمغي فتشكل مصدرًا مِنْ مصادر الغذاء الميسر للعديد مِن الحشرات الأخرى مثل النحل والنمل والذباب ، كذلك يؤدي تقاطر العصارة الغذائية على الأرض إلى خصوبة التربة.

والجمع بين المَنّ والسلوى هو جمع بين الكربوهيدرات النباتية بما فيها مِنْ سكريات ونشويات وغيرها ممثلة فى " المَنّ " وبين البروتينات الحيوانية ممثلة في طائر السِّمَّان " السلوى " وكلاهما لازم لإنتاج الطاقة ولبناء خلايا جسم الإنسان. هذا بالإضافة إلى أنّ البروتينات المستمدة مِنْ لحوم طيور السِّمَّان " السلوى " هي أيسر في الهضم وأفضل لجسم الإنسان مِنْ لحوم الأنعام ومِن البقول ، ولذلك جاء قوله تعالى : {وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} (البَقَرَة ٦١)، وواضح المعنى أنّ الأدنى هو البقول والقثاء والثوم والعدس والبصل وأنّ الذي هو خير هو " **الْمَنَّ** وَالسَّلْوَى "، وهذه الحقيقة العلمية لم تُدْرَك إلا في القرن العشرين والإشارة إليها في القرآن منذ ١٤٥٠ عامًا يُعتبر من **الإعجاز العلمي** والأدلة العلمية على صدق القرآن ورسالة الإسلام.